الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم

إعداد

د. عبد الراضي بن محمد عبد المحسن

الأستاذ المساعد

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. وبعد:

فربما كانت أطروحة صمويل هنتنجتون التي دوّت في الهزيع الأخير من القرن الميلادي المنصرم، أمثل تعبير عن حقيقة ما يعتور عالمنا المعاصر من صراع حضاري ذي جوهر دينيّ.

ولم يكن سيل الكتابات الغربية التي تجعل من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه عدوّ الغرب الحاليّ والمستقبليّ الذي يمثل امبراطورية الشر بعد زوال المعسكر الشيوعي، إلا تجسيداً لأحد أبعاد ذلك الصراع الضاري[1].

---

(١) يأتي في مقدمة تلك الكتابات دراسة بعنوان Christianity and Islam للكاتب البريطاني Edward Mortimer وأخرى بعنوان Islam and Marxism للعالم الأنثروبولوجي Ernest Gellmer وقد نشرت الدراستان كملف خاص عن الإسلام في مجلة " International Affairs B :67 . 1 Junuary 1991 " وشهادة ثالثة جاءت على لسان سياسي بارز ومسؤول كبير كان يشغل منصب رئيس المجلس الوزاري الأوربي ووزير خارجية إيطاليا "جياني ديميكليس" عندما برر سبب وجود حلف الأطلنطي بعد زوال المواجهة مع حلف وارسو، بأن المواجهة مع العالم الإسلامي هي مبرر بقاء الحلف.

راجع: د. محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ص ٢٨، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة، ط١، ١٩٩٢م.

وهذا الجانب الملتهب من جوانب الصراع وإن كان هو المستحوذ على غالب الاهتمام ، إلا أن هنالك جوانب أخرى تماثله في الأهمية ، بل قد تفوقه في الخطورة ؛ لأن المستهدف فيها هو القلوب النابضة والعقول المحركة للقاطرة البشرية .

ومن تلك الجوانب حرب المعتقدات ومعركة الثقافة ، التي تأتي في مقدمتها الغارة التنصيرية على القرآن الكريم . تلك الغارة الشرسة التي استهدفت أصالة القرآن الكريم بوصفه كلام الله المنزل على خاتم رسله محمد بن عبد الله ﷺ ، فكانت الدافع إلى هذه الدراسة بفعل ما خلَّفته من افتراءات وشبهات ودعاوى روَّجتها الجدليات التنصيرية، فقد كانت هذه الافتراءات قوية الأثر إلى الحدِّ الذي انخدع به بعض الدارسين[1] .

ولم تكن الردود على تلك الافتراءات تدانيها في الأثر، في الوقت الذي كان ينبغي أن تكون الردود أقوى حتى لا تبقي مجالا للشكوك أو الشبهات .

وربما يعود ذلك في جانب منه إلى عدم التخصص المنهجي للدارسين، حيث جاءت هذه الردود عرضاً في سياقات مختلفة من الحديث عن الإسلام أو الفكر الإسلامي وعلاقته بالغرب من غير المتخصصين، وقد مثَّل ذلك التناول الثانوي ثاني أسباب قصور تلك الردود .

---

(١) منهم على سبيل المثال فيما يخص موضوعنا : طه حسين –محمد خلف الله– –محمد أركون– نصر أبو زيد .

بينما يتطلب هذا النوع من الدراسات إلماماً بجوانب معرفية عديدة، مثل: تاريخ الأديان، والمعتقدات الدينية لدى أهل الكتاب، ومضمون الكتب المقدسة، ومناهج النقد العلمي: كالمنهج المقارن، ومنهج نقد النصوص، والنقد الشكلي والنقد التاريخي.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحصين المسلم المعاصر وتزويده بنظرة نقدية للفكر التنصيري حول القرآن الكريم، وتاريخ الجدل ضد أصالته، ومسالك المنصرين في جدلياتهم ضد أصالة القرآن الكريم بما يتمكن معه المسلم المعاصر من الفكاك من أسر الأطروحات التي قدمها التنصير خلال مراحل ارتقائه التاريخي منذ نشأته حتى يومنا هذا.

كما تهدف الدراسة من جانب آخر إلى توجيه الدعاة إلى الله بين غير المسلمين إلى الردود والشواهد العقلية والنقلية، والبراهين العلمية، والحقائق التاريخية التي تعينهم في الدعوة إلى كتاب الله، وتمكنهم في الوقت نفسه من تصحيح المفاهيم المغلوطة التي رَوَّجها المنصِّرون حول القرآن الكريم بغرض صرف الناس عنه.

وقد جاءت الدراسة في خمسة مباحث ، وفق الخطة التالية:

المبحث الأول: حقيقة التنصير.

١- مفهوم التنصير.

٢- خطورة التنصير في مجال القرآن الكريم.

٣- ضرورة مواجهته.

المبحث الثاني : دوافع الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم .

١- صرف الأنظار بعيداً عن القرآن .

٢- موقف القرآن من كتب أهل الكتاب ومعتقداتهم .

٣- إبطال المعجزة القرآنية .

المبحث الثالث : تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم .

أ - دور التأسيس (جدليات المشرقيين) .

١- يوحنا الدمشقي .

٢- تيودور أبو قرة .

٣- بارشولوميو الرهاوي .

٤- عبد المسيح الكندي .

٥- بولس الأنطاكي .

٦- ابن كمونة اليهودي .

ب - الجدل البيزنطي .

جـ - مرحلة الأندلس .

د - مرحلة الحروب الصليبية .

١- بطرس المحترم .

٢- روجر بيكون الراهب الفرنسيسكاني .

٣- وليم الطرابلسي .

٤- ريموند مارتني .

هـ - مرحلة التنصير المؤسَّسي .

المؤسسة الأولى : التبشير .

المؤسسة الثانية : الاستشراق .

المبحث الرابع: مسالك الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم.

المسلك الأول: ترجمة القرآن.

المسلك الثاني: البحوث التنصيرية حول القرآن.

المسلك الثالث: إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة.

المسلك الرابع: ترويج المزاعم وإثارة الشبهات.

المبحث الخامس: تفنيد مزاعم الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم.

١ ـ دلائل تهافت الدعوى الأولى "القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية":

أولاً: شخصية الرسول ﷺ.

ثانياً: تاريخ كتب العهدين القديم والجديد.

- النسخة العربية.

- عدد نسخ العهد القديم والجديد.

ثالثاً: إعجاز النظم القرآني.

رابعاً: الاختلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام في أصول الإيمان.

خامساً: أثر القرآن والتوراة والإنجيل في الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية.

الجانب الأول: الأخلاق.

الجانب الثاني: المجتمع.

الجانب الثالث: العلم.

سادساً: تأثير الإسلام في اليهودية والنصرانية.

٢- دلائل تهافت الدعوى الثانية "القصص القرآني تكرار لقصص التوراة والإنجيل":

الدليل الأول: اختلاف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل.

الدليل الثاني: تباين أهداف القصص في القرآن والتوراة والإنجيل.

الدليل الثالث: القصص الذي انفرد به القرآن.

الدليل الرابع: نتائج المقارنة بين القصص المتناظر في القرآن والتوراة والإنجيل:

أ - رواية خلق العالم.

ب - الطوفان.

جـ - قصة يوسف.

مصادر ومراجع البحث.

المبحث الأول: حقيقة التنصير

التنصير يطلق على النشاط الذي تمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية في الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والمجتمع في الإسلام.

وقد طرحت الكلمة ترجمة للمصطلح الأوربي Missions بديلاً عن كلمة "التبشير"[(١)]، وهو ما نختلف معه، وذلك لأسباب تتعلق بصحة ترجمة اللفظ وبمفهومه، وهي:

١- الترجمة الصحيحة لكلمة Mission هي (التبشير بالدين المسيحي ـ المأمورية ـ البعثة) وليس التنصير[(٢)].

٢- الهدف النهائي لذلك النشاط الهدام ليس إدخال المسلمين في النصرانية، كما سيتبين لنا فيما يأتي.

٣- لا مسوغ لعدم الرضا عن مصطلح التبشير خشية ظلاله الحسنة؛ لأن التبشير قد عبّر به القرآن الكريم عن الحسن والطيب، وعبَّر به كذلك عن السوء والشر وما لا تحمد عقباه، كما قال تعالى:

---

(١) راجع هذا الاتجاه لدى: محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، ص: ٦٩، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م د. علي النملة، التنصير، ص: ١٧، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م بدون بيانات، د. عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، ص: ١٤، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض ١٤١٤هـ د. علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: ٢٧.

(٢) Goetz Schregle, Deutsch - Arabisches Woerterbuch, S : 830 London - Beirut 1977.

﴿ ... فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران: ٢١) وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ... ﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩) وكقوله تعالى: ﴿ ... فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (لقمان: ٧) . فالعبرة بمضمون البشارة وليس بظلال المصطلح.

٤- أن المستهدف بهذه الإرساليات والبعثات الدينية ليس المسلمين وحدهم ، بل إن التبشير يمارس ضد طوائف النصارى الشرقيين من أرمن وقبط وأرثوذكس[١].

٥- كثير من أفراد البعثات التبشيرية قد انضم إليها لتحقيق أغراض ومآرب شخصية، مثل : السياحة والتجارة وغير ذلك[٢].

٦- التبشير هو إحدى مؤسسات التنصير وليس كلَّ التنصير؛ مما يجعل مِنْ قصر مصطلح التنصير على العمل التبشيري وتخصيصه به تمويهاً على المستهدفين بالتنصير وتحويل أنظارهم بعيداً عن نشاط المؤسسات التنصيرية الأخرى ، التي ربما يفوق تأثيرها الهدَّام تأثير التبشير.

٧- أن كلَّ مبشِّر منصِّر ، لكن ليس كلُّ منصِّر مُبشِّراً.

أما عن مفهوم التنصير في البيئة الإسلامية فقد صيغ المفهوم وتحدَّدت وظيفته فيما يؤدي إلى إخراج المسلمين من دينهم، وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية[٣].

---

(١) د . علي النملة ، التنصير ، ص ١٥ .

(٢) د . فروخ - الخالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، المكتبة العصرية . بيروت ١٩٨٦م.

٣- د . فروخ - الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص ٣٩ .

وهذا المفهوم الحديث للتنصير يلمس أحد أبعاد العمل التنصيري، لكنْ هناك أبعاد أخرى لحقيقة التنصير، لا يمكن الوقوف عليها إلا بإدراك طبيعة الصراع الكوني بين الديانات الكبرى من أجل استحقاق شرف ريادة الإنسانية وقيادتها، تلك القيادة التي تستمد مشروعيتها من امتلاك الحقيقة المطلقة المؤسَّسة على الوحي.

ولمَّا كان الإسلام قد أثبت صدق دعواه امتلاك الحقيقة المطلقة، والقدرة على قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلعاتها وآمالها ، وذلك بما أنجزه في حيز التطبيق الفعلي لذلك الاستحقاق، حيث استطاع في قرن ونصف من الزمان أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلثي المسكونة من بيض وسود، وعرب وعجم، وبربر وترك، وهنود وقوقاز، سوّى بينها في الحقوق والواجبات، وصَهَرَها في بوتقة ألَّفت أزهى عصور التاريخ: حضارة وعلماً وأخلاقاً.

فإن تلك القدرة الهائلة للإسلام قد أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوّء تلك المنزلة أو ما يدانيها، على الرغم من الفترة الزمنية السحيقة التي قرعت العالم فيها نواقيس اليهودية والنصرانية.

لهذا أدرك أهل الكتاب خسارتهم معركة التحدي الكونية، بسبب فقد ديانة العهد القديم والعهد الجديد المقومات الذاتية اللازمة لقيادة الإنسانية والارتقاء بها حضارياً وأخلاقياً، فعمدوا إلى سلوك طريق

آخر يستهدف إقصاء الإسلام[1] عن الحلبة الكونية نهائياً ؛ حتى يتسنى لهم قيادة السفينة وامتلاك مقدراتها بما يدّعون من حقٍّ إلهي مقدس .

فكانت المواجهة مع الإسلام والصراع ضده هي السبيل لتحقيق ذلك الهدف ، وقد اتخذ ذلك الصراع شكلين أساسيين هما : الحروب العسكرية التدميرية، وحرب العقيدة والفكر التي تسعى للنيل من : الإسلام، ونبيِّه، وكتابه، ومعتقداته، وشرائعه، ونُظُمه؛ بهدف زعزعة عقيدة المسلم وتشكيكه في دينه، مما يقود إلى الخروج من الإسلام وليس بالضرورة الدخول في النصرانية[2] .

ويكشف لنا هذا الغرض النهائي من حرب العقيدة والفكر سرَّ المشاركة الفعالة لليهود في الصراع ضد الإسلام جنباً إلى جنب مع النصرانية رغم كراهيتهم واحتقارهم لها؛ إذ إن المسلم الذى يخرج عن دينه لن يصلح للإنسانية في شيء فيكون خروجه نكاية من اليهودية في الإسلام، فإذا اعتنق النصرانية فذلك نكاية من اليهودية في الإسلام

(١) يصرح المنصرون برغبتهم فى إقصاء الإسلام؛ فالمنصر جسب يود أن يمحو الإسلام من العالم، ويصرح غيره بأن الغاية من عملهم هي : "القضاء على الأديان غير النصرانية" .

راجع : فروخ – الخالدي، مرجع سابق ، ص ٣٦ ، ٤٥ .

(٢) راجع في هدف الإرساليات والوعاظ من النصارى واليهود :

– مصطفى الخالدي – عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٤٦ .

– إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، ص ٢٧، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٤هـ .

والنصرانية معاً . قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ . . . ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

وعلى ذلك يكون الصراع ضد الإسلام عملاً يهودياً نصرانياً مشتركاً تنوعت فيه الأدوار وتوزعت التخصصات ما بين: الخبراء ، وشركات الأعمال، والمؤسسات، والإرساليات، والجيوش، ووزارات الخارجية، ووكالات الاستخبارات، وأساتذة الجامعات، والمراكز والمعاهد العلمية، والمستشرقين، وصانعي السياسة[١] .

وهذا الصراع الذي يؤلف جوهر الغارة التنصيرية على العالم الإسلامي[٢]، يجعل من حصرنا فعاليات التنصير في نشاط الإرساليات التبشيرية فهماً قاصراً لطبيعة التنصير وأبعاده وأدواته، فما هذا النشاط إلا أحد آليات التنصير، ولذلك فإن تخصصه وحده باسم التنصير وصرف الهمم تجاهه وحده واستنزاف الجهد في تتبع وسائله وممارساته، ليكون وجها ثانياً من وجوه القصور في فهم طبيعة الغارة

(١) بتصرف من: إدوارد سعيد ، الاستشراق، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط ٢، ١٩٨٤ م .

(٢) ربما يكون الأستاذ عبد الرحمن الميداني قد وقف على الطبيعة الشمولية لعداء أهل الكتاب للإسلام، ذلك العداء المتمثل في الصراع ضد الإسلام بما أسماه: أجنحة المكر الثلاثة : الاستعمار –التنصير– الاستشراق .

راجع كتابه : "أجنحة المكر الثلاثة" ، دار القلم، دمشق ط ٥، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

التنصيرية في جانبها العقدي ، فهذا الجانب يشتمل على : جدليات ، ودعاوى ، ومزاعم ، وشبهات مثارة من قِبَل دوائر تنصيرية عديدة إلى جانب الإرساليات التبشيرية ووعاظها، منها : الاستشراق، وكالات الاستخبارات، وسائل الإعلام، مراكز البحوث والمعاهد العلمية .

من جهة ثانية فإن أخطر نتاج الغارة التنصيرية الذي يجب أن يكون محل الاهتمام عبر دوائر التنصير المختلفة هو الجدليات التي استهدفت أصالة القرآن الكريم ؛ نظراً للتلازم بين القرآن والرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . . . ﴾ (فصلت : ٥٣) .

فالضمير في "أنه الحق" كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "يرجع إلى القرآن، فإذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذى جاء به صادقاً يجب التصديق بما أخبر وإطاعة ما أمر واجتناب ما نهى"[١] .

وتكمن خطورة الجهد التنصيري في هذا المجال ليس فقط فيما يستهدفه ، بل في كثرة المؤسسات والمنظمات التنصيرية التي تقوم به وتنوعها ما بين علمية وثقافية ودينية واجتماعية ، فقد أثمر ذلك الجهد الهائل عن نجاح، إن لم يكن في تحقيق المسعى بتحويل المسلمين عن دينهم ، فقد تمثل في تنشئة طبقة من المثقفين المتعاطين لمنتجات

---

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ / ٢٥٠) وانظر (٤ / ٢١، ٢٢) مطبعة المدني ، مصر ، بدون ترقيم .

الفكر التنصيري الثقافية والعقدية ، وإِسهام هذه الطبقة في حقل الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم ربما يكون أكبر بسبب ما لها من سلطة فكرية وحضور ثقافي ومكانة علمية برّاقة ، مكنتها من القيام بدور المخبر الثقافي والنائب المحلّي للفكر التنصيري في بلاد العالم الإِسلامي .

ومثل هذا الجهد التنصيري الضخم يتطلب لمواجهته عملاً جماعياً منظماً لا يفي به بحث هنا أو مقال هناك . إِن متابعة هذا النشاط الواسع لا تقوم به إِلا مؤسسات ، ونحن نفتقد حتى يومنا هذا مؤسسة متخصصة في هذا النشاط والرد على جدلياته .

المبحث الثاني: دوافع الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

تتعدد دوافع الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم، فمنها دوافع خاصة بأهل الكتاب ومنها دوافع عامة لكل خصوم القرآن من كتابيين وغيرهم. ومن تلك الدوافع التي يمكن رصدها:

١ - صرف الأنظار بعيداً عن القرآن .

وقد كان ذلك هدفاً لمشركي مكة ، وسعوا إلى تحقيقه بوسائل عدة منها : صدُّ الناس عن القرآن، والتصفيق والصفير عند تلاوته، وإثارة المزاعم والشكوك حوله .

وكان ظن المشركين أن ذلك مجلبة للغلبة والنصر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ (فصلت: ٢٦).

وهذا ما اعتقده المنصرون تماماً ، يقول المنصِّر وليم جيفورد بالكراف: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه"[1] .

---

(١) جلال العالم، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، ص ٦٣، مكتبة الصحابة جدة – مكتبة التابعين، القاهرة، ١٩٩٤م .

والمعنى نفسه كرره المبشر وليم موير: "إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم عناداً حتى الآن" إدوارد سعيد ، الاستشراق، ص ١٦٨، مرجع سابق .

والمقصود بالحضارة التي حال القرآن بين المسلمين وبينها فيما أشار إليه المنصِّر هي الحضارة ذات المفهوم الغربي للكون والحياة ، ذلك النموذج الذي أكد "جياني ديميكليس" رئيس المجلس الوزاري الأوربي ضرورة فرضه وإلا فالحرب هي الخيار(١).

ولا شك أن المناعة الذاتية الجبارة التي خلقها القرآن في المسلمين قد حالت بينهم وبين الانحدار والسقوط المدوي أمام التكالب الأممي لجحافل التتار والصليبيين في الماضي وأمام الغزو الاستعماري في العصر الحديث ، وقد تجلّى انكشاف تلك الحقيقة الثمينة في تأكيد غلادستون أحد موطدي دعائم الامبراطورية البريطانية في الشرق الإسلامي : "ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"(٢) .

٢- موقف القرآن الكريم من كتب أهل الكتاب ومعتقداتهم .

حدد القرآن الكريم بوضوح وجلاء موقفه من الكتب السابقة ، متمثلا في :

أ - الهيمنة عليها، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ (المائدة : ٤٨) .

---

(١) د . محمد عمارة ، استراتيجية التنصير ، ص ٢٩ . مرجع سابق .

(٢) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .

ب - أفضليته وكماله ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ . . . ﴾ (الزمر: ٢٣) ، وترجع أفضلية القرآن على غيره من الكتب إلى كماله من جهتين :

أولاهما : تبيانه لكل شيء ، قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ . . . ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقال تعالى : ﴿ . . . وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾ (النحل: ٨٩) .

والثانية : إرشاده إلى غاية ما يصبو إليه الإنسان وما يحقق له كمال الدنيا والدين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ . . . ﴾ (الإسراء: ٩) .

جـ - كشف التحريف والتبديل الواقع فيها : بالإخفاء والكتمان : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا . . . ﴾ (الأنعام: ٩١)، أو بالنسيان : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ . . . ﴾ (المائدة: ١٤)، أو بالكذب والتزوير: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة: ٧٩)، أو بالتغيير والتحريف المتعمد : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥) .

ورفض القرآن زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ،

وبكّتهم وذم أخلاقهم وفضح خطيئاتهم بما يعنيه ذلك من طعن في مشروعية امتلاك حق مقدس في قيادة البشرية. قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ... ﴾ (المائدة: ١٨).

وأنكر عليهم دعواهم صلب المسيح: ﴿ ... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٧، ١٥٨).

وكفّر الذين قالوا ببنوة المسيح وألوهيته: ﴿ ... وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ... ﴾ (المائدة: ١٧).

وقد كان هذا الموقف القرآني الدقيق من العهدين القديم والجديد ومعتقداتهما جداراً صلباً أمام نجاح الفكر التنصيري أو ما يرتبط به من رؤى حضارية في اختراق الحياة الروحية أو صمود العقيدة الإسلامية، مما دفع بدهاقنة العمل التنصيري إلى التساؤل بعد أربعة عشر قرناً من بدء الغارة التنصيرية[١]:

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري) ص ١٨٨ – ٢٠٣، دون بيانات.

- هل من الممكن حقاً إقناع المسلم بأن النصارى لم يزوِّروا الكتاب المقدس ؟ أو أنهم ليسوا مشركين ؟ أو أن المسيح هو أكثر من كونه ابن مريم كما هو مذكور في القرآن؟ أو أن صلب المسيح وبعثه قد تم فعلا ؟

- هل الإسلام بوصف كونه ديناً قائماً على الكتاب (القرآن) يعقِّد عملية قبول النصرانية أو ييسِّرها ؟ وبأية وسيلة؟ .

- كيف يمكننا التغلب على النصوص القرآنية التي تكذب بعض الأجزاء المهمة من رؤية العهد الجديد؟ .

٣- إبطال المعجزة القرآنية .

لما كان القرآن الكريم هو دليل نبوة محمد ﷺ الأكبر، وبرهانها الساطع، وحجتها البالغة، وأخص آياتها، وأظهر علاماتها بسبب اجتماع الوحي المدَّعى والدليل المعجز الذي تحدى به النبي ﷺ العالم إنسه وجنّه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء : ٨٨) لذلك فقد أدرك المنصرون أن القرآن أقوى أسلحة المسلمين وأمضاها في صراعهم ضد جحافل التنصير ، فعملوا جاهدين على إبطال فاعلية هذا السلاح ، بالتقليل من قيمته، ونفي أصالته، تمهيداً لمحاولة سلب محمد ﷺ شرف النبوة بحجة : "عدم وجود معجزة تؤيد نبوته"[١] .

---

(١) تيودور أبو قرة/ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ص ٨٥، بتحقيق: اغناطيوس ديك، بيروت ١٩٨٢م .

وانظر Adel Theodore Khoury, Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam , S : 38 - 39 .

وقد حدد الواعظ التنصيري "جون تاكلي "هذا الباعث من الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم ، قائلا : "يجب أن نستخدم كتابهم -وهو أمضى سلاح في الإسلام- ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً . يجب أن ترى الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً"[1] .

ويمكن القول بأن افتراض نجاح الجهد التنصيري في فك التلازم الضروري في الإسلام بين القرآن والوحي والرسول المبلِّغ ، ذلك التلازم المستند إلى إلهية مصدر القرآن ، لسوف يؤدي إلى "الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له ، وسوف يفضي بعد انتشاره في كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها"[2] .

---

(١) مصطفى خالدي - عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص ٤٠ ، مرجع سابق .

(٢) أ . ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٩ ، مرجع سابق ، نشرة محب الدين الخطيب . بيروت ، د . ت .

المبحث الثالث: تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

بدأ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن -مبكراً جداً- مع أول صدام بين المسلمين والجماعات المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة البيزنطية، وقامت الشام بأكبر الأدوار وأهمها في تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن، وقد تعددت مراحل الجدل التنصيري ضد القرآن، وتباينت معها أساليب الجدل وأطروحاته، فيما يمكن رصده من خلال الأدوار التالية التي مرَّ بها الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن:

أ- دور التأسيس (جدليات المشرقيين):

كان الشرق مهداً لنشأة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم، نظراً لأنه كان نقطة التقاء الإسلام الفاتح بعقائده وكتابه وشرائعه مع المسيحية الشرقية بمذاهبها المختلفة من أرثوذكسية بيزنطية حاكمة، ونسطورية مخالفة، وآريوسية توحيدية.

يضاف إلى ذلك العامل اللغوي الذي مكّن مجادلي التنصير المشرقيين من الاطلاع بيسر وسرعة على القرآن الكريم في لغته العربية، والوقوف على ما احتواه من عقائد وشرائع وأخلاق وقصص، ومن ثمّ الشروع في الجدل ضده، بخلاف مجادلي الغرب اللاتين الذين احتاجوا إلى عدة قرون كي يتمكنوا من قراءة القرآن في إحدى ترجماته.

ويمكن في هذه المرحلة تمييز عدد من رموز الجدل التنصيري. وهي:

١- يوحنا الدمشقي (ت ٧٥٠م) :

يوحنا الدمشقي (ت: ٧٥٠ م) أحد أكبر آباء الكنيسة الأرثوذكسية، وبسبب قيمته الدينية الكبرى نال لقبين ذوي شأن، فلقِّب بـ "القديس يوحنا"، و"يوحنا ينبوع الذهب"، وبحكم كونه في خط الصراع الأول ضد الإسلام فإنه سارع بالعكوف على القرآن الكريم تفلية ونبشاً، مسخِّراً إتقانه العربية، وموظِّفاً إلمامه بالبيئة الثقافية الإسلامية التي يعيش في رحابها، ويعايش أعلى مستوياتها العلمية والسلطوية حيث كان من كبار موظفي بلاط الخلافة الأموية[١].

وقد عُدَّ يوحنا الدمشقي بالنسبة للكنيسة الشرقية مثل توما الإكويني بالنسبة للكنيسة الغربية بسبب استخدامه الدلائل العقلية إلى جانب الدينية في خدمة الإيمان الأرثوذكسي وتسويغه وذلك باستخدامه الفلسفة اليونانية والهللينستية في تفسير الدين والدفاع عنه[٢].

---

(١) د. جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، ص ٢٤٣، ربيع الأول ١٣٦٤ هـ، مارس ١٩٤٥ م.

(٢) Dena John Geanakoplos, Byzantine East and Latin Christiondom West : Two Worlds of in Middle Ages and Renaissance, PP.22F. Harpertoneh Books, NewYork 1966.

وللتوسع في معرفة أثر يوحنا الدمشقي، ومن ثمّ فضل المجادلين الشرقيين على المجادلات التنصيرية ضد الإسلام في الغرب، راجع :

Anton Pegis, St Anselm and the Argument of the Proslogion, Mediaeval Studies 28. (1966) 228 - 267, 231, 233 - 234.

وفي المجلّة نفسها راجع مقالة دياني ي دوبرول بالعدد رقم ٣٢ عام ١٩٧٠ م، ص ١٢٨ – ١٣٧.

وقد انتهى يوحنا الدمشقي إلى عدة آراء جدلية ضد الإسلام والقرآن والرسول ، لخّصها في كتابه (ينبوع المعرفة) الذي قسمه ثلاثة أقسام ، أولها عن المنطق والفلسفة، والثاني عن البدع، والثالث شرح لمبادئ الدين القويم ، وقد خصص الفصل (١٠٠، ١٠١) في قسم البدع للجدل ضد الإسلام ، وتتلخص رؤية يوحنا الدمشقي للإسلام ونبيه وكتابه فيما يلي[١]:

أ- التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم ، لذلك يصف المسلمين على نحو لا يخلو من الخبث، بالسرازانيين[٢] (Saracens) ويعد أول كاتب مسيحى يستخدم هذا التشويه الإتيمولوجي لأغراض الجدل العنيف، كذلك يصف المسلمين بـ "المفسدين" وهي التسمية التي ستكثر في الجدليات التالية ليوحنا .

---

(١) دانييل ساهاس ، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام ، ص ١٢٣ - ١٢٨ ، الاجتهاد . بيروت ، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

- جورج عطية ، الجدل الديني المسيحي - الإسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام ، ص ٤١٥، ٤١٦، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ـ جامعة اليرموك . عمان ١٩٨٩م.

- د . جواد علي ، يوحنا الدمشقي ، ص ٣٠٧ ، مجلة الرسالة. مصر . عدد (٦١٢) ربيع الأخر ١٣٦٤هـ / مارس ١٩٤٥م .

(٢) السرازانيين نبذ بالألقاب للمسلمين؛ إذ تعني الكلمة: الذين أبعدتهم سارة باحتقار .

ب – يعالج الإسلام على أنه هرطقة مسيحية.

جـ – يقدم الإسلام على أنه مُؤْذن بالمسيح الدجّال.

د – يجعل الرسول ﷺ أحد أتباع آريوس ، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطوري، وذلك بسبب تأكيده أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به آريوس ونسطور.

هـ – يحصر ما جاء به النبي ﷺ في أمرين:

أولهما: معرفته الضحلة بما قلَّتْ قيمته من أسفار العهدين القديم والجديد اللذين وقع عليهما النبي ﷺ مصادفة.

الثاني: ما أخذه النبي ﷺ عن الراهب الأريوسي (بحيرا) .

و – القرآن نتاج لأحلام اليقظة ؛ لأن الرسول ﷺ تلقاه وهو نائم.

ويمكن القول بأنه لا خلاف على ريادة الدمشقي للجدل التنصيري ضد الإسلام، كذلك يمكننا القول بأن جدليات يوحنا ضد القرآن هي الأهم في تاريخ الجدل التنصيري ضد القرآن؛ حيث وضع الدمشقي آراءه في قوالب جدلية مكثفة أصبحت ركيزة الجدل التنصيري في كل أدواره ومراحله التالية ، فقد ردد جميع المجادلين بعده بعض أو كلّ قوالب الدمشقي: "الإسلام هرطقة مسيحية –القرآن تلفيق من العهد القديم والعهد الجديد– تعلم النبي ﷺ من بحيرا الراهب – المسلمون سراسنة" .

٢- تيودور أبو قرة (ت ٨٢٦م) :

تلميذ ليوحنا الدمشقي، وقد تبع رأي أستاذه في النبي والقرآن ، فعدّ النبي محمداً ﷺ نبياً أريوسياً مزيفاً[١] .

٣- بارشو لوميو الرهاوي (ت حوالي القرن الثاني عشر الميلادي) :

تركزت جدلية بارشو لوميو من مدينة الرها في أخذ النبي ﷺ القرآن عن راهب نسطوري، يقول الرهاوي : "فعندما شهد ذلك الراهب الفاسق سذاجة القوم رأى أن يمنحهم عقيدة وشريعة على غرار مذهب أريوس وغيره من ألوان الكفر والزندقة التي حرم من أجلها، فراح يسطر كتاباً هو الذي يسمونه القرآن ، وهو شريعة الله، ناثراً فيه كل ما أودع من مروق ... وعند ذلك أعطى كتابه لتلميذه (مؤمد) وأبلغ أولئك البلهاء أن ذلك الكتاب أنزل على محمد من السماء حيث كان في حفظ جبريل الملك فصدقوه فيما قال ، وبذلك مكّن الراهب لذلك القانون الجديد"[٢] .

---

(١) Klaus Hock , Der Islam im Spiegel westlicher Theologie S : 99 , Deutschland 1989. 101 , 112 .

وانظر : رشا الصباح ، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، ص ٧٠٦ ، مجلة عالم الفكر ، عدد (٣) المجلد الخامس عشر . وزارة الإعلام ، الكويت .

(٢) د . محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار، ص ٣٦٤، ٣٦٥ ، دار الفكر العربي . القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤- عبد المسيح الكندي (عاش في القرن العاشر الميلادي تقريباً) :

كان عاملاً في بلاط الخليفة المأمون، وكتب ردًّا على رسالة الهاشمي التي يدعوه فيها إلى الإسلام ، وقد لقيت رسالة عبد المسيح الكندي عناية كبيرة من دوائر التنصير حيث نشرت أكثر من مرة لخدمة الإرساليات ليتعلموا منها أساليب مجادلة المسلمين حول القرآن والنبي[١] .

٥- بولس الأنطاكي (عاش في القرن السابع الميلادي تقريباً) :

بولس الراهب الأنطاكي وقيل إنه أحد أساقفة سوريا : إما أن يكون أسقف مدينة صيدا أو أسقف مدينة أنطاكية .

وله عدة رسائل مطوّلة ضد الإسلام[٢] ، أهمها رسالته إلى أحد المسلمين التي ضمَّنها خلاصة معتقد النصارى في الإسلام وفي عقائد النصرانية ، حيث يدلل على صحة الديانة النصرانية ، وعلى عدم حاجة العالم إلى القرآن؛ إذ جاءت التوراة بشريعة العدل وجاء الإنجيل بشريعة الفضل ، ولا يتبقى بعدهما جديد يحتاج الناس إليه[٣] .

---

(١) أ . ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

- توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية .

- د. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ٥٧، دار الرفاعي - الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) رشا الصباح ، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، ص ٨٥ ، مرجع سابق .

(٣) الرسالة منشورة بمجلة المشرق المسيحي ، العدد (١٥) من السنة السابعة ، عام ١٩٠٤م .

وتكشف الرسالة عن معرفة جيدة ودقيقة بالقرآن ، فأكثرها نقول قرآنية احتج بها المؤلف -جدلا وشغباً- على المعتقدات النصرانية في الصلب والتثليث والفداء وصحة الأناجيل .

وعلى الرغم من أهمية الرسالة فإن صاحبها مجهول ، حتى إن لويس شيخو ظن أن بولس الأنطاكي كان يعيش في القرن الثالث عشر الميلادي[1] ، وهذا غير صحيح ، فالرسالة من أوائل الجدليات التنصيرية، ولو تأمل لويس شيخو قول بولس الأنطاكي في نص الرسالة عند حديثه عن الأناجيل: "وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا فقوله: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٤٦) ، ثم قوله أيضاً: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ . . . ﴾ (يونس: ٩٤) ، فثبت بهذا المعنى ما معنا ، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التهم بالتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه إياها .

قلت: فإن قال قائل: إن التبديل قد يجوز أن يكون بعد هذا القول .

---

(١) لويس شيخو ، مقالات دينية قديمة ، ص ١ ، مرجع سابق .

- لويس شيخو ، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ٦٩ ، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٤ م .

قالوا: هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله؛ لأن كتبنا قد جاز عليها من نحو ستمائة سنة وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم"[١] .

فالنص واضح في تحديد زمن كتابة الرسالة بالنصف الأول من القرن السابع الميلادي - الأول الهجري .

٦- ابن كمونة اليهودي (ت ١٢٨٤م) :

يُعَدُّ ابن كمونة أول مجادل تنصيري من اليهود ضد القرآن الكريم ، وقد ضمّن جدلياته ضد القرآن كتابه (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث)، فعقد فصلا للقرآن الكريم أورد فيه خمسة عشر اعتراضاً على القرآن ، منها ثلاثة تتعلق بأصالة القرآن الكريم :

أ - لِمَ لا يجوز أن يكون القرآن أنزل إلى نبي آخر دعا محمداً أولا إلى دينه وإلى هذا الكتاب، فأخذه محمد منه وقتله[٢]؟

ب - يحتمل أن محمداً طالع في كتب من تقدمه أو سمعها فانتخب أجودها، وضمّ البعض إلى البعض[٣] .

جـ - كيف يستبعد سماعه ذلك من الآخرين وقد سافر إلى الشام قبل دعواه النبوة مرتين ، وهي مملكة أهل الكتاب؟ وأيضاً فقد كان في العرب من أهل الكتاب جماعة فلا يبعد أنه سمع ذلك منهم[٤] .

---

(١) رسالة بولس أسقف صيدا الراهب الأنطاكي ، ص ١٧ من نشرة لويس شيخو ، مرجع سابق .

(٢) سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص ٧٠، نشرة موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا .

(٣) السابق .

(٤) السابق ص ٨٩ .

وقد تسببت جدليات ابن كمونة ضد أصالة القرآن الكريم في هياج العامة عليه ومحاصرة داره، إلا أنه تمكن من الهرب واختفى عدة أيام توفي بعدها[1].

وتعد مرحلة بدايات الجدل التنصيري في المشرق من أهم أدوار الجدل التنصيري وأخطرها ، إذ ألّفت قاعدة الجدل والأساس الذي بنى عليه المنصرون جدلياتهم في مراحل التنصير وأدواره المختلفة ، وبالإضافة إلى هذه الملاحظة هناك ملاحظتان أخريان جديرتان بالرصد، هما:

١- أن الجدل في هذه المرحلة جهد فردي يتوقف على قدرات المجادل وثقافته ، لكن بسبب إجادة المجادلين للغة القرآن الكريم ، فقد جاءت مجادلاتهم مكتظة باستشهادات مغلوطة من النصوص القرآنية مما أعطى لها نفوذاً روحياً وفكرياً وعقدياً على التراث الجدلي التنصيري بأكمله ، ولا يخفى -في هذا الشأن- المكانة المرموقة التي تبوّأتها جدليات يوحنا الدمشقي ، الذي امتُدح بأنه لم يأت برأي أصيل إلا في الإسلام[2]، وجدليات بولس الأنطاكي التي تلقتها

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، ص ٤٤١، ٤٤٢، بتحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٢ م .

وانظر : الدكتور سعد العتيبي ، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين ، ص ٥١٨، ٥١٩، مجلة الدرعية (عدد ٦، ٧) ربيع الآخر ، رجب ١٤٢٠هـ / أغسطس ، نوفمبر ١٩٩٩م.

(٢) بابا دوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، ص ٥٢٨، منشورات النور، بيروت ١٩٨٤م.

-لويس غرديه- جورج قنواتي ، فلسفة الفكر الديني (٢/ ٤٣) دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ١٩٦٧م .

الأوساط التنصيرية بالتقدير لما تمتاز به في نظرهم من ألفاظ جيدة وآراء سديدة صائبة وبراهين واستدلالات وحجج جلية[1]، إلى حد دعوة بعضهم إلى الاكتفاء بها في بيان موقف النصرانية من الإسلام[2].

وكذلك جدل عبد المسيح الكندي في رسالته الشهيرة التي أصبحت عمدة العمل التنصيري في مجال الإرساليات[3].

٢- عقم الجدل الذي تمثله تلك المرحلة، إذ إن المجادلين على اختلاف مشاربهم لم يزيدوا على تكرار الشبهات الجدلية لمشركي مكة، بعد أن قاموا بإحلال رموز يهودية ـ نصرانية محل رموز المشركين في الدعاوى التالية:

الدعوى الأولى: القرآن قول شاعر بإلهام شيطان الشعر، حيث كان العرب يتوهمون أن لكل شاعر شيطاناً من الجن يقول الشعر على لسانه[4]، وهذا ما نفاه الله عن القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (الحاقة: ٤١)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ (التكوير: ٢٥).

---

(١) لويس شيخو، مقالات دينية قديمة، ص ١، مرجع سابق.

(٢) ابن العسال، الصحائح في جواب النصائح، ص ٤٠، القاهرة سنة ١٦٤٣م قبطية.

(٣) أ. ل شاتيله، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٠، مرجع سابق.

(٤) د. حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، ص ١١٣، مكتبة الإيمان، ط ١، مصر ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

فاستبدل مجادلو التنصير شيطان الشعر الجاهلي ، وأحلوا محله الراهب النسطوري الفاسق الملحد كما تصور بارشولوميو الرهاوي ، أو أحلام اليقظة كما اقترح يوحنا الدمشقي .

الدعوى الثانية : بشرية مصدر القرآن :

زعم المشركون أن الرسول ﷺ : ﴿ ... إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل : ١٠٣) .

فجعل الدمشقي وتلميذه أبو قرة من هذا البشر هو بحيرا الراهب الأريوسي، ولما زعم المشركون جماعية مصدر تعليم الرسول القرآن : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ... ﴾ (الفرقان : ٤) ، زاوج ابن كمونة في احتمالاته وأرجحها بين بحيرا الراهب أو أحد أهل الكتاب ممن كانوا بمكة أو الشام .

الدعوى الثالثة : القرآن من أساطير الأولين :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان : ٤ ، ٥) .

ففسر مجادلو المشرق كلهم أساطير الأولين بأنها قصص التوراة والإنجيل .

ب - الجدل البيزنطي :

البيزنطيون هم أول من كتب من الأوربيين ضد الإسلام والقرآن[1]. وكان أول هجوم مفصل على القرآن في أعمال "نيكتياس البيزنطي" في مقدمة كتابه "نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين" أما أكبر هجوم جدلي ضد القرآن فهو ما قام به إمبراطور بيزنطة جان كنتا كوزين في كتابيه "ضد تمجيد الملة المحمدية" و "ضد الصلوات والتراتيل المحمدية" وكان هذا الهجوم باللغة اليونانية[2].

جـ - مرحلة الأندلس :

كانت فترة الحكم الإسلامي للأندلس عصر ازدهار علمي وحضاري في مختلف الجوانب ، وفيها ارتفع صوت الحرية الدينية والنقاش حول قضايا الأديان والعقائد، وقد استغل المنصرون ذلك فصنفوا مؤلفات جدلية كثيرة ضد الإسلام، وتصدى لهم علماء الإسلام رداً وتفنيداً، مثل: ابن حزم والقرطبي وأبي الوليد الباجي... إلخ .

---

(١) عبد اللطيف الطيباوي ، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ص ٥١٧ ، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامي الحديث. د. محمد البهي. مكتبة وهبة ، ط ٨ ، ١٩٧٥ م .

- محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، ص ٣٧٣ ، مرجع سابق .

(٢) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ص ٥ ، دار الجليل ، ط ١ ، بترجمة كمال جاد الله . القاهرة ١٩٩٧ م .

وتكمن أهمية هذا الدور من أدوار الجدل التنصيري ضد القرآن في أنه كان معبراً انتقلت خلاله الجدليات التنصيرية إلى الغرب .

وأبرز الأمثلة على ذلك كتاب (نقض الفقهاء Contrarietas elfolica) لأحد النصارى الأسبان ، الذي كان له تأثير بالغ في ريكولدو دي مونت كروس الحانق على الإسلام ، وقد أفاد كروس من هذا الكتاب في تصنيف أشهر كتبه (تفنيد القرآن Canfutatia Alcorani) الذي عُني به مارتن لوثر وسارع إلى ترجمته إلى الألمانية عام ١٥٤٢م[١].

د - مرحلة الحروب الصليبية (٤٩١هـ/ ١٠٨٩م- ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) :

بدأت الحروب الصليبية بخطب البابا أوربانوس الثاني في كليرمون فيران Clermont - Ferrand بفرنسا ، وإعلانه الحرب على الإسلام والمسلمين، ووعده المشاركين فيها بالفوز ببركة الكنيسة وبالغفران الكامل لخطاياهم مكافأة لهم على حمل السلاح تحت راية الصليب[٢].

وكان بطرس الناسك ذا أثر كبير في تعبئة العامة من أجل النهوض بأعباء القتال والحملات الصليبية[٣].

---

(١) قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص ٦١ مرجع سابق .

(٢) روم لاندرو ، الإسلام والعرب ، ص ١٢٢ ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٧م .

(٣) السابق ، ١٢٤ .

ولما كانت الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمان "لتدمير الإسلام"[1] ، فإن عهدها يعد لدى المنصرين "أروع العهود في العصور الوسطى كلها"[2] .

وقد استمرت الحروب الصليبية على المستوى الدولي، وفي ذلك -كما يقول روم لاندو- برهان قاطع على أن كرّ السنين لم يخفف إلا قليلا من أعمال اللاتسامح التي قام بها الصليبيون باسم الله[3] .

وتزامن مع عمليات الإبادة الجماعية التي مارسها الصليبيون ضد المسلمين حركة جدل واسعة استهدفت أصالة القرآن الكريم على يد عدد من الجدليين المشهورين في العصور الوسطى ، لكن أبرز ما يميز تلك المرحلة هو كونها إرهاصاً بظهور التنصير المؤسَّسي عقب نهاية حرب الفرسان حاملي السيف والصليب ، كذلك فإن أهم نتاج هذه المرحلة هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، تلك الترجمة التي ستكون محل دراسة موسعة عند عرض مسالك الجدل التنصيري ضد القرآن .

وأهم الرموز الجدلية في هذه المرحلة ، هم:

---

(١) فروخ - الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص ١١٥ ، مرجع سابق .

(٢) Julius Richter , A History of the Protestant Missions in the Near East , P 14 , New York 1910 .

(٣) روم لاندرو ، الإسلام والعرب ، ص ١٣١، ١٣٢ مرجع سابق .

١- بطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م):

بطرس المحترم هو أول جدليّ ضد الإسلام في الكنيسة الغربية كما يقول المنصِّر إديسون[١]، وهو راهب لاهوتيّ رئيس لدير "كلوني" الذي سيقوم بدور كبير في حركة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن .

وقد قام برحلة إلى الأندلس ، ألّف عقب عودته منها كتاباً في الرد على الإسلام والقرآن عام ١١٤٣ م، وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية[٢].

٢- روجر بيكون الراهب الفرنسيسكانى (١٢١٤-١٢٩٤م):

وجّه بيكون رسالة إلى البابا إكليمنص الرابع سنة ١٢٦٦ م ضمَّنها دعوته إلى[٣]:

- وجوب إدخال اللغات الأجنبية إلى مناهج الدراسات الجامعية، وبخاصة اللغة العربية للإفادة منها وسيلة للتبشير ضد الإسلام .

- دراسة أحوال المسلمين للوقوف على الطرق التي يمكن النفاذ منها إلى هدم عقيدتهم وتقويضها .

---

(١) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٢) Trevor - Roper , Hugh , The Rise of Christian Europe , P 145 , Oslo - London 1978 .

(٣) نجيب العقيقي ، المستشرقون (١ / ١٢٠) ، دار المعارف ، ط ٤ ، مصر .

٣ - وليم الطرابلسي (١٢٧٣ م) :

صنف جدلاً ضد أصالة القرآن ، جاء فيه : "بعد أن مات (محمد) أراد أنصاره أن يعالجوا العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه، فلما تبينوا أن الرجل الذي نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمة لأداء ذلك على الوجه الأكمل طلبوا إلى اليهود والمسيحيين الذين أسلموا أن يساعدوه، وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقوا فقرات مناسبة من العهد القديم والجديد، وأن يمزجوها بالكتاب كيفما اتفق ، وبذا أصبح الكتاب على عظيم من الرونق والجمال المنقول من الكتب المنزلة ما بين مسيحية ويهودية"[١] .

٤ - ريموند مارتيني (١٢٢٠ - ١٢٨٤ م) :

راهب مبشر دومينيكاني أسباني ، تبحر في دراسة القرآن ، واجتهد في الجدل ضده ، فألف كتاباً بعنوان : "الخلاصة ضد القرآن" ، وبلغت به رغبته في تفنيد القرآن أن حاول معارضته بعد أن علم أنه معجزة النبي ﷺ ، فوضع سورة غاية في السخافة والسقامة[٢] : "بسم الله الغفور الرحيم ، أعارض قرآن مَنْ آخر اسمه الدال وأوله الميم ، بلسان فصيح عربي مبين ، لا يمنعني منه سيف ولا سكين ، إذ قال لي بلسان

---

(١) محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، ص ٣٦٨ .

(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٢١٣ – ٢١٥، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت ١٩٨٩م .

الإلهام سيد المرسلين: قل المعجزة لا شريك فيها لرب العالمين وفي الفصاحة يشترك كثير كثيرين يغلب فيها أحيانا الصالح الطالح والكافر المؤمنين ، فليست الفصاحة ولو في النهاية آية ولا معجزة اللهم إلا عند الذين أوطاهم عشوة معلم مجنون حتى قالوا عنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، مع أنه بإقراره في سورة الأحقاف لم يدر قط ما يُفْعل به ولا بتباعه أجمعين أكتعين ، فقل يامن اسمه / رمند ولقبه مرَتْين: آه، لقوم يقبل الباطل والخرافات والترهات كأنها اليقين ، وإن كنتم في شك مما ألهمنا إليه عبدنا يا معاشر المسلمين فأتوا بحلٍّ هذه الحجة ، وبمثل هذه السورة وادعوا لذلك إخوانكم من الجن إن كنتم مهتدين. فإن لم تقدروا ، ولن تقدروا فقد زهق الباطل، وانتقام اليقين والحمد والشكر لله آمين ، آمين"[1] .

وبصرف النظر عن مدى سقم محاولة مارتيني إلا أنها تكشف عن قفزة كبيرة وتطور في مستوى الجدل التنصيري في عهد الحروب الصليبية، وانتقاله من مجرد الطعن في أصالة القرآن إلى محاولة المعارضة ، وفي هذا دليل كاف على عدم دقة ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن بدوي من أن الجدل ضد القرآن بدأ في المسيحية الغربية على يد نيقولا دي كوزا (١٤٠١ – ١٤٦٤م)[2].

---

(١) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٢) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص ٥ .

هـ - مرحلة التنصير المؤسِّسي :

بدأت هذه المرحلة إثر فشل الحروب الصليبية في تدمير الإسلام ، فعندما خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية الأولى من طريق السيف أرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة من طريق التبشير[1] .

وقد جاء هذا التحول بناء على وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابقة التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة بمصر .

وتلفت الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة بسبب روح الجهاد لديهم، وتوصي بتلمس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها[2] .

ويمكن القول بأن بطل هذه المرحلة بلا منازع هو (ريموند لول Raymond Lull) وهو مبشر حانق على الإسلام ، كان حلم حياته هدم الإسلام ، وصرف حياته لمهمة تنصير المسلمين ، وسعى جاهداً لتحقيق هدفه من طريقين[3] :

---

(١) Julius Richter , A History of the Protestant Missions in the Near East , P. 14 .

(٢) علي جريشة – محمد الزيبق ، أساليب الغزو الفكري ، ص ٢١ ، ط٢ ، دار الاعتصام . مصر .

(٣) ارنست رينان ، ابن رشد والرشدية ، عادل زعيتر ، ص ٢٦٧ القاهرة ١٩٥٧م .

– طريق شخصي بتصنيف الكتب الجدلية ضد الإسلام والقرآن .

– طريق مؤسِّسي ، بإقناع ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين للعمل ضد الإسلام ، وفي الغرب بتقديم ثلاث عرائض إلى البابا كليمان الخامس لإنشاء كلية لدراسة العربية ، وعدد من كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات المختلفة لتكون من أهم وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين .

وبالفعل نجحت مساعي ريموند لول المؤسَّسية ، فقد أمر يعقوب الأول ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين وقام لول نفسه بإعدادهم فيها[1] .

وقرّر مجمع فيينا الكنسي (١٣١١م) إنشاء خمسة كراسٍ لتعليم اللغة العربية في أكبر خمس جامعات في أوربا (باريس ، أكسفورد ، بولونيا ، سلمنكا ، جامعة الإدارة المركزية البابوية) وعين للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين[2] .

– يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، بترجمة عمر العالم ، ط ١ ، دار قتيبة، دمشق - بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

– سعيد عاشور ، الحركة الصليبية (٢ / ١٢٧٩) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٣م .

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية (٢ / ١٢٧٩) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٣م.

– يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، مرجع سابق

(٢) يوهان فوك ، ص ٣١ ، مرجع سابق .

ويعد هذا القرار الكنسي البداية الرسمية للتنصير المؤسَّسي ؛ إذ أثمر عن ظهور أكبر مؤسستين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام والقرآن حتى اليوم ، وهما :

المؤسسة الأولى : التبشير :

كانت كلية الثالوث المقدس القاعدة التى انطلق منها التنصير المؤسَّسي فهى أولى لبنات مؤسسة التبشير ضد الإسلام ، ولم يكن ريموند لول أول معلم فيها فقط ، بل كان "أول من مارس التبشير ضد الإسلام ، فجال في بلاده وناقش علماءه"[١] .

ولما كان الرهبان ورجال الدين النصارى يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا، كان من الطبيعي أن يقودوا العمل التبشيري ضد الإسلام نظراً لمعرفتهم لغات المسلمين ، فأصبحت الكنائس والأديرة مرتكزات وقواعد للعمل التبشيري لتخريج أهل الجدل الذين يجادلون ضد الإسلام والقرآن[٢] .

ومن أوائل المبشرين الرهبان الجدليين ضد القرآن الراهب الدومنيكاني (ريكولدو دى مونت كروس) (١٢٤٣ - ١٣٢٠ م) الذى بعثه البابا نقولا الرابع إلى الشرق ، فتجول مبشراً في فلسطين ومجادلاً باللغة العربية ضد القرآن ، ثم ألّف أهم الكتب الجدلية ضد القرآن بعنوان :

---

(١) أ . ل . شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٢، ١٣ . مرجع سابق .

(٢) نجيب العقيقي ، المستشرقون (١ / ١٠٤) . مرجع سابق .

(الجـــدل ضـــد المسلمـــين والقـــرآن) Disputatio Contra Saracenos et Alchoranem[1].

ثم كتب الكاردينال نيقولا دي كوزا (١٤٠١ – ١٤٦٤م) بتوجيه من البابا بيوس الثانى :

١ – "نقد الإسلام وتفنيده" .

٢ – "غربلة القرآن"[2] .

وقام عدد من الآباء الدومينيكانيين واليسوعيين بتصنيف جدليات ضد القرآن منهم[3] :

– دينيس : (حول الخداع المحمدي) ١٥٣٣ م .

– ألفونس سينا : (التحصين الإيماني) ١٤٩١ م .

– جان دى تيريكريماتا : (بحث للرد على الأخطاء الرئيسية الخادعة لمحمد) ١٦٠٦ م .

– لويس فييف : (الإيمان المسيحى الحقيقى ضد المحمديين) ١٥٤٣ م .

– ميشيل نان : (الكنيسة الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً) ١٦٨٠ م .

– لودو فيجو مرتشي : (مقدمة في دحض القرآن) ١٦٩٨ م .

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٢١١ ، دار العلم للملايين . بيروت ١٩٨٩م .

(٢) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص ٥ ، مرجع سابق .

(٣) السابق ، ص ٦ .

وبرز من المبشرين الجدليين ضد القرآن في العصر الحديث كل من:

١- هنرى لامانس، مبشر يسوعى وراهب متعصب خلف لويس شيخو في إدارة مجلة المشرق، وإدارة المجلة التبشيرية (البشير)، وقد أودع جدليته ضد القرآن في مقاله: "هل كان محمد أميناً؟"، وفي كتابه: "الإسلام عقائد ونظم"[١].

٢- وليم موير (١٨١٩-١٩٠٥م)، مبشر إنجليزي أحد أعضاء البعثة التبشيرية الإنجليزية في شمال الهند، كتب جدليتين ضد القرآن:

- "القرآن تأليفه وتعاليمه" ١٨٧٧م.

- "الجدال مع الإسلام" ١٨٩٧م[٢].

٣- ريتشارد بل (توفي في النصف الثاني من القرن العشرين)، أحد رجال الدين المسيحي، وصرف سنين كثيرة في دراسة القرآن[٣]، وله في الجدل ضد القرآن عدة كتب ومقالات حول ما زعمه من التأثير المسيحي في النبي ﷺ، وأهمها مقدمته لترجمة القرآن التي ضمّنها جدليته الأساسية ضد أصالة القرآن الكريم.

٤- سانت كلير تسدال (توفي في أوائل القرن العشرين)، قسيس مبشر في إيران[٤]، صنف أعنف وأخطر جدلية ضد أصالة القرآن

---

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٤٠٤، ٤٠٥، مرجع سابق.

(٣) العقيقى، المستشرقون (٢/٩٢، ٩٣).

(٤) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٦.

الكريم: (المصادر الأصلية للقرآن) وكتبها بالألمانية ، ثم ترجمها المبشر وليم موير إلى الإنجليزية[1] .

٥- آرثر جيفري (توفي في النصف الثاني من القرن العشرين) ، من محرري مجلة العالم الإسلامي التبشيرية وأبرز كتّابها، وقد بُعث للعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم للتبشير في أمريكا اللاتينية ، ثم إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة .

وله عدة جدليات ضد القرآن الكريم وأصالته نشر بعضها في مجلة العالم الإسلامي ١٩٣٥م، ونشر بعضها في كتابه: "مصادر تاريخ القرآن" ، وأودع بقيتها في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لأبي بكر ابن أبي داود[2] .

٦ - آرينز ، مبشر ، له جدلية بعنوان: "عناصر نصرانية في القرآن"[3] .

٧ - كينث كراج ، خليفة زويمر في توجيه النشاط التبشيري في منطقة الشرق الأوسط، ورئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي التبشيرية، ورئيس مؤتمر التبشير المنعقد في أكسفورد عام (١٩٨٦م)، له جدليتان ضد أصالة القرآن ، طبعتا أكثر من مرة لمساعدة وعاظ التنصير، وهما: "نداء المئذنة" ، "القبة والصخرة" .

---

(١) Saint Clair Tisdall, The Original Sources of the Qur_an , Landon , 1905 .

(٢) إسماعيل سالم عبد العالم ، المستشرقون والقرآن (١ / ٢٥) سلسلة دعوة الحق - عن رابطة العالم الإسلامي ، العدد ١٠٤ ، مكة المكرمة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، وقد قام -رحمه الله - بالرد التفصيلي على مقدمة جيفري لكتاب المصاحف.

(٣) العقيقي ، المستشرقون (٣/٥٣٧) .

٨ – بول بوبارد ، راهب فرنسي معاصر أشرف على إعداد قاموس للأديان "Dictionnaire des Religio" نشرت طبعته الأولى عام ١٩٨٤ م، وقامت على طبعه "المنشورات الجامعية الفرنسية" ، وأنجز أغلب مواده أساتذة المعهد الكاثوليكي بباريس .

وقد ردد المبشرون القائمون على الكتابة فيما يخص أصالة القرآن الجدليات القديمة نفسها، بإرجاع القرآن إلى الأصول التوراتية والإنجيلية التي وقف عليها النبي ﷺ، مستدلين على ذلك بالعناصر المشتركة بين القرآن وكتب العهدين[١] .

المؤسسة الثانية : الاستشراق :

بدأ الاستشراق بقانون كنسي حدد مهمة المؤسسة الاستشراقية في التمهيد والإعداد لارتداد العرب إلى المسيحية[٢] .

ولذلك نصَّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربية بجامعة كمبردج عام ١٦٣٦م –مثلا– على أن الكرسي أنشئ: "بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات"[٣] .

---

(١) محمد عبد الواحد عسيري ، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان ، ص ٢٢ – ٢٤ ، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات في العالم الإسلامي المنعقدة في الرياض (٢٢ – ٢٥ رجب ١٤٢٠ هـ / ٣١ أكتوبر – ٣ نوفمبر ١٩٩٩م) .

(٢) Francis Dvornik , The Ecumenical Councils , PP. 65 - 66 , Hawthorn Books. New York 1961 .

(٣) عبد اللطيف طيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص ٤٧٧، مرجع سابق.

ولم تقتصر جوانب التنصير في المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدّتها إلى الممارسة والتنظيم .

فقد كان الرهبان في طليعة المستشرقين[1]، ولا تزال لهم اليد العليا في العصر الحديث حيث يزيد عددهم على مائة راهب من: (البندكتيين، والفرنسيسكان، والكيوشيين، والكرمليين، والدومنيكان البيض، واليسوعيين)[2].

أما التنظيم والإعداد فقد اضطلع به الفاتيكان ، واصطنع للمؤسسة الاستشراقية النفوذ لدى السلطات الحاكمة واضطلع بوسائل التمويل[3].

وربما كانت الطبيعة التنصيرية الخالصة للمؤسسة الاستشراقية بعناصرها الأربعة: (سلطة الإنشاء ، والهدف ، والتنظيم ، والممارسة)، تسبب الالتباس في أمر المؤسستين، وتحول في كثير من الأحيان دون التفرقة بين العمل التبشيري والعمل الاستشراقي.

لكن على الرغم من الطبيعة التنصيرية المشتركة بعناصرها الأربعة بين المؤسسة التبشيرية والمؤسسة الاستشراقية ، فهناك فوارق بين المؤسستين تتمثل في أداة العمل التنصيري ومجاله ، حيث إن:

---

(١) العقيقي ، المستشرقون (٣ / ٢٤٩) مرجع سابق .

(٢) علي النملة ، الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص ٧٦ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

(٣) العقيقي ، المستشرقون (١ / ١٠٤) مرجع سابق .

" الاستشراق أخذ صورة البحث العلمي وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي ، أما دعوة التبشير فقد بقيت في حدود مظاهر العقلية العامة ، أي العقلية الشعبية، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجلات العلمية وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة ، سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ودور الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء ، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار ودور اليتامى واللقطاء"[1] .

وهذا يعنى أن مؤسسة التبشير استهدفت تنصير العامة وذوي الحاجات بما يناسبهما من وسائل، واختص الاستشراق بتنصير النخبة والمثقفين ، بوسائط علمية وفكرية .

وهناك فارق آخر يمكن رصده ، يتمثل في المشاركة اليهودية في نشاط المؤسستين ؛ حيث شارك اليهود في الاستشراق بنسبة كبيرة وفعالة لا يمكن مقارنتها بالمشاركة الضئيلة في النشاط التبشيري، وإن كان الدور التبشيري الخطير الذى مارسه "زويمر" حركياً وتنظيمياً وجدلياً لا يمكن إنكاره .

---

(١) محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ٢، الإدارة العامة للثقافة – مطبعة الأزهر. القاهرة، د. ت. الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٥٩، ٤٦٠، ط ٨ ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٥م .

أما فيما يخص أصالة القرآن الكريم والتكييف العقدي للإسلام، فإن المؤسستين تتفقان وتتحدان في استلهام التراث التنصيري وتكراره للمراحل السابقة في أطروحاته الأساسية:

- الإسلام هرطقة مسيحية.
- محمد ﷺ نبي مزيف لا أخلاقي.
- القرآن تلفيق من كتب العهدين القديم والجديد.

لذلك فإنه كما يقول إدوارد سعيد ساخراً: "سيكون مستشرقاً بحاثة ومختصاً ألمعياً ذلقاً في أيامنا هذه من يشير إلى الإسلام على أنه هرطقة آرية من الدرجة الثانية، وأن محمداً نبي لا أخلاقي، وأنه ألّف كتابه معتمداً على كتب التوراة والإنجيل"[1].

وقد بلغ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم ذروته في هذه المرحلة بسبب الوسائل والإمكانات التي توافرت للمؤسسة الاستشراقية، ومن أبرز الجدليات الاستشراقية ضد أصالة القرآن الكريم[2]:

---

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٤٤ – ٩٤.

(٢) راجع: إدوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق. نجيب العقيقى، المستشرقون، (٥٣١-٥٤١).

– عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١ / ٢٢٠ – ٢٣١).

– عبد الرحمن بدوى، دفاع عن القرآن، ص ٢٣، ٢٤.

- **جدليات ذات نزعة يهودية:**

١- (الحاخام) أبراهام جيجر، ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟، بون ١٨٣٣م، ط ٢ ليبزج ١٩٠٢م، إعادة طبع ١٩٦٩م.

٢- هيرشفيلد:

- العناصر اليهودية في القرآن، برلين ١٨٧٨م.
- مقالة في شرح القرآن، ليبزج ١٨٨٦ م.
- أبحاث جديدة في فهم القرآن وتفسيره، لندن ١٩٠٢ م.

٣ - سيدرسكي، أصل الأساطير الإسلامية في القرآن، باريس ١٩٣٢م.

٤ - هورفيتز، بحوث قرآنية، برلين - ليبزج ١٩٢٦ م.

٥ - إسرائيل شابيرو، الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن، برلين ١٩٠٧م.

- عناصر من الهجادة في قصص القرآن. ليبزج ١٩٠٧ م.

٦ - فايل، التوراة في القرآن ١٨٣٥ م.

٧ - جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وزميله، القاهرة (١٩٤٨ م).

٨ - س. د. جويتين، اليهود والعرب: علاقاتهم عبر التاريخ. نيويورك (١٩٥٥م).

٩ – بيرنات هيللر ، عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية، (١٩٨٢ م) .

١٠ – جوزيف هاليفي ، السامريون في القرآن (المجلة الآسيوية ١٩٠٨ م).

١١ – ج. فانسبرف، مصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس. طبع بتمويل من جامعة لندن عام ١٩٧٢م.

١٢ – ميشائيل كوك ، محمد ، مطابع جامعة أكسفورد ١٩٨٧م.

١٣ – رودي بارت ، محمد والقرآن: تاريخ النبي العربي ودعوته ، نشر دار كول هامر ضمن سلسلة أربان الألمانية عام ١٩٥٧م. وأعيد طبعه ١٩٦٦م.

جدليات ذات توجه مسيحي:

١– ج . بوستل ، توافق القرآن والإنجيل ، (١٥٤٣ م) .

٢– كراديفو ، راهب بحيرا والقرآن ، (١٨٩٨ م) .

٣– فلهلم رودلف ، صلة القرآن باليهودية والمسيحية ، بترجمة عصام الدين حفني ناصف ، دار الطليعة . بيروت ١٩٧٤م .

٤– جون بيرتون، جمع القرآن ، جامعة كمبردج ١٩٧٧م .

٥– ريجي بلاشير ، القرآن ، بترجمة رضا سعادة، وإشراف الأب فريد جبر ، دار الطليعة. بيروت ١٩٧٤م .

٦– وولكر باسيلي ، طابع الإنجيل في القرآن ، (١٩٣١ م) .

٧- بوم شتارك ، مذهب الطبيعة الواحدة في القرآن . مجلة المشرق المسيحي١٩٥٣م.

٨- سترشتين ، القرآن : الإنجيل المحمدي ، (١٩١٨ م) .

٩- ريتشارد بيل، أصل القرآن في بيئته المسيحية، لندن ١٩٢٦م، وأعيد طبعه عام ١٩٦٨م.

١٠- تور أندريا ، أصل الإسلام والمسيحية ، أوسلو ١٩٢٦م .

ويلاحظ أن مرحلة التنصير المؤسَّسي كانت أكثر المراحل وأبعدها أثراً في الجدل ضد أصالة القرآن الكريم ، وذلك لطول فترتها الزمنية منذ بدايتها ١٣١١م حتى اليوم، ولضخامة الجيش العامل في مؤسستيها : التبشير والاستشراق، وكذلك عِظَم الإمكانات المسخرة لعمل المؤسستين .

ويكفي دليلا على ذلك الطابور الخامس من المثقفين الذين أفرزتهم هذه المرحلة من الباحثين المسلمين "الجالسين تحت أقدام المستشرقين" كما وصفهم إدوارد سعيد، الذين ردّدوا الأطروحات التنصيرية نفسها، وكان لهم أثر بالغ في محيط ثقافي واسع ، مثل: طه حسين بكتابه: "في الشعر الجاهلي" ، محمد خلف الله بكتابه: "الفن القصصي في القرآن الكريم" ، محمد أركون بكتابه: "الفكر العربي" وبحثه المنشور: "مسألة صحة نسبة القرآن إلى الله" ، نصر أبو زيد بكتابه: "مفهوم النص" .

المبحث الرابع
مسالك الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

سلك المنصرون في جدلياتهم ضد أصالة القرآن الكريم ثلاثة مسالك سعوا من خلالها إلى نفي ربانية مصدر القرآن، وهي :

المسلك الأول : ترجمة القرآن :

كانت ترجمة القرآن هي السلاح الذى سلّه مجادلو التنصير لمحو القرآن أو منعه من الغلبة أو تفعيل دوره في الحفاظ على الذات الإسلامية.

إذ إن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية لم تتم بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرد، أو التفاعل والتكامل مع الآخرين، بل إنها تمت بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر "الآخر" وهزيمته والسيطرة عليه(١).

يقول يوهان فوك في تاريخه للدراسات العربية في أوروبا: "لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن"(٢) .

---

(١) عبد الحميد مدكور ، الترجمة والحوار مع الآخر ، ص ٤٧ ، كتاب المؤتمر الدولى الأول للفلسفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة" المنعقد بدار العلوم. القاهرة ١٩٩٦ م .

(٢) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

ويضيف أن هذه الفكرة التي أدت إلى ترجمة القرآن قد شهدت توسعاً من خلال تنقلات الوعاظ الدينيين لطائفتي الدومنيكان والفرنسيسكان[١].

ويظهر هذا بجلاء من خلال أمور:

أولها: أن أول نصوص مترجمة من القرآن إلى اللغات الأجنبية قد جاءت ضمن كتاب "الجدل" الذي ألّفه ابن الصليبي مطران ديار بكر (ت ١١٧١م) وهو مخطوط بالسريانية في كنيسة بطريركية السريان ببيروت[٢].

الثاني: أن بطرس الموقر أمر بترجمة القرآن للمرة الأولى عام ١١٤٣ م حتى يستطيع دحضه[٣].

وقد أكد زويمر المبشر اليهودي على أن تلك الترجمة تمت بدافع تنصيري[٤].

الثالث: ما ذكره جورج سيل في مقدمة ترجمته للقرآن بأن الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين؛ لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وأن العناية الإلهية قد ادَّخَرَتْ لهم مجد إسقاطه[٥].

---

(١) السابق، ص ٢٢.

(٢) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ٩٧، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

(٣) Trevor - Roher , Hugh , The Rise of Christian Europe , P . 145

(٤) Zwemer S., The Translation of the Quran , The Muslim World, P. 295, 5 (1973) .

(٥) أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٥، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.

ولما أعيد نشر هذه الترجمة في طبعة أخرى عام ١٨٩٦م بتقديم المبشر "هويري" وتحقيقه ، أعاد هويري تأكيد دور هذه الترجمة في تنشيط العمل التنصيري ضد الإسلام وتدعيمه[١].

الرابع: أن الكنيسة حرمت طبع أو نشر ترجمة القرآن ، حتى إن ترجمة بطرس الموقر ظلت حبيسة محفوظات دير كلوني ولم يفرج عنها إلا بعد أربعة قرون[٢]. ثم أعيد تحريم الطبع والنشر مرة ثانية ، ولم يسمح بطباعة الترجمة إلا عام ١٦٩٤م ، عندما قام راهب مدينة هامبورج الألمانية إبراهام هنكلمان بطبعه[٣].

وقد سُخِّرت ترجمة القرآن في الجدل التنصيري من طرق :

الأول : تشويه الترجمة :

عمد المترجمون إلى تشويه ترجمة القرآن بإسنادها إلى مترجمين من الدرجة الثانية والثالثة، ومعاملة النص القرآني معاملة مؤلفات بشرية ، وذلك للحد من إمكان إقبال غربيّ على هذه الترجمات والإفادة منها ، وبذلك تألَّف حاجز نفسي عميق بين غير المسلم والقرآن ، وكانت هذه الترجمات أحد أسباب سيول الأباطيل والمطاعن والشتائم التي ساقها كتَّاب التنصير ضد القرآن الكريم[٤].

---

(١) السابق ، ص ٣٦ .

(٢) محمد صالح البنداق ، مرجع سابق ، ص ٩٥، ٩٦ .

(٣) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

(٤) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

ويعدد صالح البنداق وجوه تشويه ترجمات القرآن، فيما يلي[1]:

١- إزاحة الآيات من مكانها التوقيفي لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآني .

٢- الترجمة الحرّة وتحاشي الترجمة العلمية إمعاناً في التحريف والتضليل ، مما يترتب عليه تحوير المعاني وتبديلها ، وعرض النص القرآني كما يراه المترجم ، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه .

٣- التقديم والتأخير والحذف والإضافة .

مما يمكن معه القول بأن "ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر"[2] .

فالترجمة اللاتينية الأولى للقرآن "ترجمة بطرس الموقر" التي تمت عام ١١٤٣م اضطلعت فقط بتقديم مضمون الفكرة ، ولم تكترث بأسلوب الأصل العربي وصياغته ، وقام الدافع التنصيري حائلا أمام الوفاء بتحقيق هذا الغرض[3].

وقد كانت هذه الترجمة "المشوّهَة" الأصل الذي نبعت منه الترجمات الأخرى ؛ فمنها نبعت الترجمة الإيطالية الأولى التي أشرف

---

(١) محمد صالح البنداق ، مرجع سابق ، ص ١٠١ - ١٠٨ .

(٢) رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص ٢٤ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩١ هـ- ١٩٧١ م .

(٣) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

عليـــهــا أريفـابيني عــام ١٥٤٧م ، وفي سنة ١٦١٦م ترجم ســالمون شفايجر إلى الألمانية عن الإيطاليـة، وعن الألمانية إلى الهولندية في سنة ١٦٤١م[١].

وعن هذه الترجمة اللاتينية الأولى وضع الحاخام اليهودي يعقوب ابن إسرائيل أول ترجمة بالعبرية عام ١٦٣٤م[٢].

الثاني: إضافة المقدمات والملاحق:

أضيف إلى نصوص الترجمات "المشوّهة" للقرآن الكريم مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة لا لمضمون النص المترجم ، بل جدليات ضد أصالته، وسخرية من محتواه ، ومحاولات للحط منه .

أما الترجمات الفرنسية للقرآن سواء اعتمدت على الترجمة اللاتينية الأولى أم على الأصل العربي أم على ترجمة مرتشي الإيطالي ، فإنها شوهت النص الأصلي وابتعدت عنه كما تقول الباحثة هداية عبد اللطيف مشهور في دراستها حول ترجمات القرآن الفرنسية: "رجعت إلى خمس وعشرين ترجمة للقرآن بالفرنسية ، فوجدتها كلها محرَّفة ، وتضيف نصوصاً من التوراة إلى آيات القرآن الكريم دون الإشارة إلى ذلك"[٣] .

---

(١) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٢) محمد صالح البنداق ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٣) مجلة الحرس الوطني، ص ٣٧، العدد ١٢٩ . المملكة العربية السعودية (ذو القعدة ١٤١٣هـ – مايو ١٩٩٣ م).

وهكذا فقد تضمنت الترجمة اللاتينية الأولى "ترجمة بطرس الموقر" التى قام بها الراهب الإنجليزي روبرت الرتيني ، والراهب الألماني هرمان الدالماني، عدداً من المقدمات والملاحق سميت بمجموعة "دير كلوني" ، وهي[1]:

١ – خطاب بطرس إلى بيرنهارد (القديس برنار دى كليوفر) .

٢ – مجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة.

٣– مقدمة روبرت الرتيني .

٤– "تعاليم محمد" لهرمان الدالماني .

٥– "أمة محمد ونشوزها" لهرمان الدالماني .

٦– تاريخ المسلمين (أخبار المسلمين المعيبة المضحكة) .

ولما انتهى الكاردينال يوحنا الأشقوبي الإسباني (ت ١٤٥٦ م) من ترجمة القرآن إلى اللاتينية بمساعدة آخرين ألحق بالترجمة جدلية ضد الإسلام بعنوان: "طعن المسلمين بسيف الروح[2]" .

---

(١) يوهان فوك ، مرجع سابق، ص ١٧ – عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص ٣٠٧ .

(٢) أورد الألماني هانبت سجلاً للحدث في مقاله: "حوار يوحنا الأشقوبي مع نيكلاوس القوسي وجيان الجرماني حول الثالوث المقدس وإعلانه بواسطة المحمديين" M TH Z 2 (1915) S : 5 ,

وحينما نشرت مطبعة بتافيا بإيطاليا الترجمة اللاتينية الذائعة الصيت التي قام بها الراهب الإيطالي لودوفيجو مرّتشي ١٦٩٨م بموافقة البابا إنوسنت الحادي عشر ، جاءت الترجمة في قسمين:

يشتمل القسم الأول على النص العربي للقرآن مع ترجمته اللاتينية وحواشي جزئية للرد على بعض المواضع ، ويشتمل القسم الثاني على كتاب: "الرائد إلى الرد على القرآن"[١] .

أما ترجمة جورج سيل الإنجليزية التى ظهرت في لندن عام ١٧٣٤م وأعيد طبعها أكثر من ثلاثين مرة ، فقد تضمنت مقدمة جدلية ضد القرآن وصفت في أدبيات التنصير بأنها قيِّمة، وأنها أفضل وصف موضوعي للإسلام[٢] .

لذلك أصبحت هذه المقدمة إحدى الجدليات الأساسية التي يعتمد عليها التنصير في الجدل ضد أصالة القرآن الكريم[٣] .

الثالث: عنونة ترجمات القرآن:

لم تكرّس العنوانات التي وضعها مجادلو التنصير على أغلفة ترجمات القرآن جدلياتهم ضده فقط ، بل ألفت بذاتها جدليات مستقلة ضد

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٣٠٣ ، مرجع سابق .

(٢) أحمد عبد الحميد غراب ، مرجع سابق ، ص ٣٥، ٣٦ .

(٣) يراجع في ذلك ما ذكره المبشر القبطي المهتدي للإسلام إبراهيم خليل أحمد في كتابه: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص ٥٨ . مكتبة الوعي العربي . القاهرة ١٩٦٤ م.

أصالة القرآن ، حيث تحاشت عقد أية صلة بين القرآن والوحي السماوي ، فكتب المترجمون على الأغلفة عنوانات من قبيل : (كتاب محمد ، قرآن محمد ، القرآن العربي ، القرآن التركي ، مبادئ السراسنة ، الشرائع التركية، الكتاب المقدس التركي ، تشريعات المسلمين)[1] .

المسلك الثاني : البحوث التنصيرية حول القرآن :

بدأ هذا المسلك مع بداية مرحلة التنصير المؤسَّسي، حيث عكفت مؤسستا التنصير : التبشير والاستشراق، على إجراء بحوث ودراسات حول القرآن لتقرير إنسانية مصدره، وتطبيق مناهج نقد النصوص الأدبية على القرآن .

وقد أسهمت مدرسة النقد التاريخي في الغرب التي أسسها الكاثوليكي ريتشارد سيمون بكتابه : "التاريخ النقدي للعهد القديم" عام ١٦٧٨م[2]، بدور فعّال في هذا المجال؛ حيث تناولت القرآن الكريم ضمن مبحثين من مباحث النقد التاريخي للنصوص ، وهما :

---

(١) راجع رصداً لهذه العنوانات لدى : محمد أبو فراخ ، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان ، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد الرابع (عام ١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ) .

– محمد صالح البنداق ، مرجع سابق .

– عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، الفصل الذي عقده لترجمات القرآن .

(٢) ظن الدكتور محمد خليفة حسن في كتابه : "آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية" ، ص ١٠٣ ، دار عين للبحوث والدراسات . القاهرة ١٩٩٧م، أن فلهاوزن مؤسس علم النقد التاريخي، وهذا غير صحيح؛ لأن جهود فلهاوزن في اكتشاف مصادر التوراة الأربعة مسبوقة بجهود ريتشارد سيمون صاحب أول مؤلّف في علم النقد =

أ- مصادر القرآن:

لم ير هذا المبحث النور إلا في أعقاب نجاح جهود مدرسة النقد التاريخي من خلال بحوث: ريتشارد سيمون ـ يوهان سملر ـ القس الألماني تلننج برنارد فيتر ـ جان استروك ـ كارل دافيد إيلجن ـ دي فيته ـ هيرمان هونفلد ـ تيودور نولديكه ـ فلهاوزن، في اكتشاف الوثائق أو النسخ أو التقاليد (الكهنوتية ـ الإيلوهيمية ـ اليهوية ـ التثنية) التي كوّنت مصادر كتابة التوراة على يد محرريها من اليهود.

ولما كان الأخيران من رجال مدرسة النقد التاريخي (نولديكه، وفلهاوزن) من كبار علماء المؤسسة الثانية من مؤسسات التنصير (الاستشراق)، فقد وجّها البحث في هذا المجال إلى القرآن الكريم، وذلك لإضفاء ثوب براق من العلمية والمنهجية الزائفة على الادعاء التنصيري القديم بأن القرآن تلفيق من التوراة والإنجيل.

لذلك أصبح موضوع "مصادر القرآن" أو "مصادر الإسلام" فرعاً مستقلا بذاته في دراسات مؤسستي التنصير: الاستشراق والتنصير.

= التاريخي وتلته جهود خلفائه المذكورين في المتن والذين اكتشفوا كلٌّ على حدة أحد مصادر التوراة الأربعة، وقام فلهاوزن بترتيبها وتصنيفها وكشف دلالاتها.

راجع في ذلك:

Hans Joachim Kraus , Geschichte der historisch - kritischen Erforschung des Alten Testament , Neukirchen - Vluyn . 1969 .

Rudolf Smend , Epochen der Bibelkritik , Muenschen 1991 .

وقد حرص مجادلو التنصير في هذا المجال على إرجاع كل كبيرة وصغيرة في القرآن إلى مصدر سابق سواء أكان دينياً أم غير ديني، وقد دارت مصادرهم المقترحة للقرآن الكريم حول مصادر ستة[1]:

١- الوسط الوثني في شبه جزيرة العرب (معتقدات، عادات، عبادات، أشعار) وعلى الأخص شعر أمية بن أبي الصلت.

٢- الحنفاء.

٣- الصابئة.

٤- الزرادشتية وديانات الهند القديمة.

٥- النصرانية.

٦- اليهودية.

ومن بين الجدليات التنصيرية ضد أصالة القرآن في هذا المجال:

١- المصادر الأصلية للقرآن، للمبشر البروتستانتي سانت كلير تسدال.

٢- مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، سايدر سكاي، باريس ١٩٣٢م.

٣- تاريخ الإسلام، إصدار جامعة كمبردج عام ١٩٧٠م بإشراف برنارد لويس.

---

(١) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١/ ٢٣٧ - ٣٦٥).
محمد الشرقاوي، الاستشراق، ص ٨٤ - ١١٤، مطبعة المدينة. القاهرة. د. ت.

٤- مصادر القص الكتابي في القرآن، سباير .

٥- مصادر تاريخ القرآن ، آرثر جيفري .

٦- محمد ، ميشائيل كوك ، طبع جامعة أكسفورد ١٩٨٧م .

٧- القرآن والكتاب ، الخوري الحداد ، مطبعة حريصا البولسية ، لبنان .

٨- مصادر الإسلام ، المبشر وليم موير ، لندن ١٩٠١م .

وغيرها الكثير مما سبقت الإشارة إليه في النتاج الجدليّ لمرحلة التنصير المؤسّسي واكتفينا بذكره في موضعه تجنباً للتكرار .

ب ـ تاريخ القرآن :

أدرج هذا الموضوع ضمن مباحث منهج النقد التاريخي التي عالجت كتاب العهد القديم والعهد الجديد معالجة تاريخية، بوصفهما عملين أدبيين بإسهامٍ إنسانيّ يمثل أرقى إنتاج إنساني متطور عبر العصور، لأنه لم يُؤَلَّف دفعة واحدة أو بقلم واحد، بل مرَّ بمراحل تطور تاريخية وأدبية يمكن رصدها وتحليلها ، حيث مرّ في مرحلة تكوينه : تأليفاً وجمعاً وتثبيتاً ، بما يزيد على ألف عام بالنسبة للعهد القديم، وما يقارب نصف الفترة بالنسبة للعهد الجديد ، وفي تلك الرحلة الطويلة تغيرت المضامين الدينية عبر مراحل التطور ، وتغير البناء التركيبي للنصوص أدبياً ولغوياً ، مما استوجب بحثاً نقدياً تاريخياً ، يفسر، ويبيّن ، ويفصل ما بين تلك المراحل[1].

---

(١) محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص ١٠٢، مرجع سابق .

وقد صنّف مجادلو التنصير من أتباع مدرسة النقد التاريخي عدة مصنفات جدلية ضد أصالة القرآن الكريم تضعه في مصاف الأعمال ذات المراحل التطورية المتعاقبة، بما يعنيه ذلك من دمغ له بالبشرية، تصنيفاً، وتحريراً، وتطويراً .

ومن هذه المصنفات[1]:

١- تاريخ القرآن، بوتيه (١٨٠٠ - ١٨٨٣م)، باريس ١٩٠٤م .

٢- التطور التاريخي للقرآن، إدوارد سل، مدراس (الهند) ١٨٩٨م.

٣- القرآن ، فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨م) مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام ١٩١٣م .

٤- مواد لدراسة تاريخ نص القرآن ، آرثرجفري ، ليدن ١٩٣٧م.

٥- تاريخ النص القرآني، إجناس جولدتسهر، جوتنجن ١٨٦٠م، وقد أعيد طبعه والتعليق عليه في مجلدين بواسطة ف. شواللي، ليبتزج ١٩٠٩م .

٦- تاريخ النص القرآني، نولديكه .

٧- تاريخ قراءات القرآن، برجشتراسر .

وذلك بخلاف المداخل التي صنفها مجادلو التنصير للتعريف

---

(١) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (١ / ٢٢٠ - ٢٣١).
محمد خليفة حسن ، مرجع سابق ، ص ١٠٣، ١٠٤.

بالقرآن الكريم وتناولت قضية "مصادر القرآن"، "تاريخ القرآن"، مثل المدخل الذي وضعه: بلاشير الفرنسي ونُشر في باريس ١٩٤٧م بعنوان "مدخل إلى القرآن"، وكذلك المدخل الذي وضعه د. بل، ونشر في إدنبره ١٩٥٤ م بعنوان "مدخل إلى القرآن".

المسلك الثالث: إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة:

من أبرز الدوريات التنصيرية المتخصصة في الجدل ضد القرآن الكريم: مجلة العالم الإسلامي، الحقيقة الواضحة، مجلة الإسلام: الألمانية، والفرنسية، والروسية.

ومن أهم دوائر المعارف التنصيرية في هذا المجال "دائرة المعارف الإسلامية"[1]، التي صدرت طبعتها الأولى باللغات الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٤٢م، وحرص على إصدارها عتاة المستشرقين والمبشرين بإشراف الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، ولما نفدت هذه الطبعة بدأ إصدار طبعة جديدة اعتباراً من سنة ١٩٥٤م.

---

(١) راجع تاريخ نشأة الموسوعة وبيانات المؤلفين والموضوعات، لدى:

– محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية العربية عن الإسلام والمسلمين، ص ٨ – ١٠، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، مرجع سابق.

– أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨ ـ ١٥، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، مرجع سابق.

وبدأ صدور الترجمة العربية للطبعة الأولى منذ عام ١٩٣٤م ، وفي عام ١٩٩٧م صدرت ترجمة كاملة لدائرة المعارف الإسلامية بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الشارقة للإبداع الفكري .

وتعد هذه الدائرة أضخم عمل مرجعي عن الإسلام ، كما أنها تتصف بصفة العالمية حيث شارك في تصنيفها قرابة ثلاثة آلاف مؤلف ينتمون إلى مختلف الجنسيات والديانات ، مما أعطاها زخماً كبيراً في مجال الجدل ضد أصالة القرآن بما لها من انتشار وقبول .

وقد وفّرت كل تلك الخصائص للدائرة سمات العمل التنصيري الناجح في تشويه حقائق الإسلام وإثارة الشبهات حول أصالة القرآن .

يقول فريد وجدي : "إن أكثر كتّاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه" ، لذلك يصف رشيد رضا مباحث الدائرة بما فيها من أغلاط ومطاعن ومخالفة الحقائق، بأنها : "أضرُّ من شر كتب دعاة المبشرين وصحفهم"[١] .

ويكفي استعراض ما سطره المبشر الأمريكي ماكدونالد في الدائرة .

المسلك الرابع : ترويج المزاعم وإثارة الشبهات :

اتجه المنصِّرون في جدلياتهم منذ البداية إلى إثارة الشبهات والمزاعم حول المصدر الإلهي للقرآن الكريم، وكانت جدلية الدمشقي ضد الإسلام هي المنطلق والفرضية الأساسية التي بنيت عليها مزاعم وشبهات الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم .

---

(١) أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص ٩، ندوة مصادر المعلومات . مرجع سابق .

فمنذ أرسى الدمشقي دعائم جدليته الأساسية "الإسلام هرطقة مسيحية" ، ولا زال الجدل التنصيري يرددها عبر مراحله المختلفة، ففي العصور الوسطى تلقفها توما الإكويني الذي صبغ العصور الوسطى برؤيته، فوصف الإسلام بأنه دين زائف وهرطقة بدعية(١).

وفي العصر الحديث أكد المبشر الأمريكي ماكدونالد، مؤسس مدرسة كنيدي لإعداد الإرساليات التبشيرية، وصاحب الدراسات الواسعة عن الإسلام ومؤلف أكثر من "مادة" من مواد دائرة المعارف الإسلامية، أكّد فيها أن "الإسلام مسيحية مهرطقة"(٢) .

وتجسدت هذه الجدلية في الأعمال الأدبية والفنية التنصيرية ففي "الكوميديا الإلهية" لدانتي الذي كان يتبنى الفلسفة اللاهوتية لتوما الإكوينى، يظهر محمد ﷺ في فصل (كانتو) ٢٨ من الجحيم، وقد وُضع في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم التسع، وهي دائرة من الخنادق الكئيبة التي تحيط بمعقل الشيطان ولا يفصل بين محمد ﷺ وقعر الجحيم حيث يقبع الشيطان، سوى المزيفين والخونة مثل: (يهوذا الإسخريوطي، وبروتس الروماني). كما أن عقابه فريد مثير للاشمئزاز حيث يقطع نصفين من ذقنه إلى شقين. وهو يسوِّي بينه في استحقاق العقوبة وبين قسيس شهواني مرتد ادعى لنفسه مكانة دينية بارزة اسمه: "فرا دولشينو" .

---

(١) Montgomery Watt, The Influence of Islam on Medieval Europe , p . 74, Edinborough up 1972 .

(٢) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٢٢٠ مرجع سابق .

بينما يضع كلاً من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين في الدائرة الأولى من الجحيم حيث يقاسون أخف ألوان العقاب؛ لأنهم أفاضل فاتتهم فقط نعمة الوحي المسيحي[١].

وقد ترتب على هذه الجدلية الادعاء بأن القرآن ليس كتاباً سماوياً أصيلا بل كتاب هرطقة، وهو ما تفرع عنه زعمان وشبهتان رئيستان روجتهما دوائر الجدل التنصيري في جدلياتها ضد أصالة القرآن، وهما:

أ- القرآن تلْفيق من اليهودية والنصرانية:

يقول المستشرق اليهودي إبراهام جيجر في كتابه: "ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟": "إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود"[٢].

ويؤكد اليهودي برنارد لويس: "أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن"[٣].

ويشرح جولدتسهر قائلا: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة .... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعد هذه التعاليم وحياً إلهياً"[٤].

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٩٧، مرجع سابق.

(٢) نقلا عن محمد صالح البنداق، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٣) غراب، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٤) جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٢، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة ١٩٤٨م.

ويستدل الخوري الحداد المبشر اللبناني في جدليته الضخمة ضد أصالة القرآن[1]، على صحة مزاعم أسلافه من المنصرين، بقوله: "فوجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة، ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل زمان ومكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل"[2] .

(١) صدرت هذه الجدلية منتصف القرن العشرين في أربعة مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان "دروس قرآنية"، مع عنوان خاص لكل كتاب، يجسد فيه مضمون جدليته، وجاءت على النحو التالي:

١- الإنجيل والقرآن.

٢- القرآن والكتاب.

٣- القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني.

٤- نظم القرآن والكتاب.

وقد تصدى له الشيخ محمد عزة دروزة في ردٍّ تفصيلي في كتابه "القرآن والمبشرون" الصادر عن المكتب الإسلامي بدمشق، في مؤلف عدّه الدكتور/ فريد مصطفى من أفضل ما كتب الشيخ دروزة.

راجع : فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، ص ٤٢٤، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

(٢) الحداد، القرآن والكتاب (٢ / ١٠٦٠) مرجع سابق .

ب ـ القرآن تكرار لقصص العهد القديم والجديد:

ساق مجادلو التنصير هذا الزعم تخصيصاً لما أجمل في الشبهة السابقة، استناداً إلى العناصر المشتركة بين القصص القرآني وقصص العهدين.

يقول جولدتسهر: "لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكِّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم"[١] .

ويستطرد موضحاً طريقة الإفادة، بقوله: "إن محمداً أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من دون أي تنظيم"[٢] .

أما المستشرق اليهودي فنسنك فيخرج بدائرة الإفادة عن حدود العهد القديم، ويربط لنا بوضوح بين هذا الزعم وسابقه والفرضية الأساسية والمنطلق الذي تفرعت عنه هذه الادعاءات قائلا : "النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمَّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله، وليثبِّت أتباعه القليلين من حوله"[٢] .

---

(١) جولد تسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٥ مرجع سابق، والمعنى نفسه أورده بلفظ مقارب في "مذاهب التفسير الإسلامي" ، ص ٧٥، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥م .

(٢) غراب، مرجع سابق، ص ٩١.

ولأن هذه المزاعم التنصيرية تستمد أصولها من مزاعم مشركي مكة حول أصالة القرآن الكريم كما اتضح ذلك من خلال رصد خصائص الجدل التنصيري في مرحلة بداياته المشرقية، فإن القرآن الكريم نفسه قد تصدى لهذه المزاعم مفنداً إياها من طرق:

أولها: طريق التحدي، وهو طريق الردع لذوي اللجاجة في الجدل غير المنقادين إلى المسلمات والحقائق، والرافضة لكل برهان يقيني ودليل إلزامي وحجة دامغة. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

فإن كان محمد ﷺ قد استطاع بمساعدة أهل الكتاب أن يأتي بالقرآن من عند نفسه، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ومعهم الثقلان من الجن والإنس أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم مبدأ الإفادة.

وهذا التحدي القرآني لمجادلي التنصير يشتمل على دليل بطلان مزاعمهم؛ إذ التحدي مكلّل بفشلهم وهو دليل على بطلان دعواهم.

الثاني: طريق المقارنة، حيث يدعو القرآن إلى تأمل آياته وقصصه وأخباره، إذ ينتهي ذلك التأمل إلى نتيجة حتمية مؤداها تنزيه القرآن عن الاختلاف والتناقض، وهذه سمة الوحي الإلهي الأصيل فقط، أما غيره فيشتمل على وجوه من الاختلاف والتضارب، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

الثالث: طريق النقد التاريخي، وفيه ألزم القرآن مجادليه بحقيقتين تاريخيتين تبطلان مزاعمهم:

الحقيقة الأولى: أمية الرسول ﷺ وعدم معرفته بالقراءة والكتابة. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

الحقيقة الثانية: عجمة المُعَلِّمين المزعومين، فالحدَّاد الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ كان لسانه أعجمياً لا يجيد العربية، بينما القرآن في أعلى طبقات الفصاحة التي سجد لها بعض الأعراب، والتي لا يستقيم عقلا أن يتعلمها النبي ﷺ من أعجمي، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل: ١٠٣).

المبحث الخامس
تفنيد مزاعم الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

فرضت طبيعة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن بما أثارته من مزاعم وشبهات وبما سلكته من ضروب ومسالك، نوع المنهج المناسب لتفنيد تلك المزاعم وبيان تهافتها، وليس ثمة شك في أهمية الدور الذي يمثله المنهج في هذا المجال، لأن مجادلي التنصير ألبسوا مزاعم جدلياتهم ثوب المنهجية، وبثوها من خلال الجالسين تحت أقدامهم من المخبرين الثقافيين المحليين عبر بوابات العلم ومداخله.

لذلك فإن المنهج المقارن إلى جانب منهج النقد التاريخي ومنهج نقد النصوص وبحوث تاريخ الأديان هي الأبرز شأناً في مناقشة مزاعم الجدليين ضد أصالة القرآن الكريم، ولهذه المناهج القدرة على إثبات أصالة الحقيقة التاريخية الثابتة لتلقي النبي محمد ﷺ الوحي القرآني من ربه من خلال الشواهد التاريخية ومن خلال نتائج بحوث تاريخ الأديان ومقارنة النصوص ونقدها .

وستأتي هذه المناقشة على النحو الذي سلكته دوائر التنصير من طرح جدلياتها عبر دعويين، مما يستوجب أن تكون المناقشة -أيضاً- من خلال معبرين:

١- دلائل تهافت الدعوى الأولى: القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية.

لا شك أن العلاقة بين الإسلام واليهودية والنصرانية غير منكورة ابتداءً؛ إذ يقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ... ﴾ (الشورى: ١٣).

كذلك شأن العلاقة بين القرآن والكتب السابقة، لقوله تعالى في شأنها: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس: ٣٧).

لكن هذه العلاقة غير المنكورة بين القرآن والكتب السابقة ليست علاقة اقتباس ومتابعة من القرآن كما أشاعت جدليات التنصير، بل هي كما قرر القرآن الكريم نفسه:

١- هيمنة قرآنية وتصديق، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ (المائدة: ٤٨).

٢- كشف للمستور، كما قال تعالى: ﴿ ... قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ... ﴾ (المائدة: ١٥).

٣- فصل في مواضع الخلاف: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل: ٧٦).

٤- تفصيل: ﴿ ...وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس: ٣٧).

ومثل هذه العلاقة التغايرية التقابلية بين القرآن وكتب العهد القديم والجديد، علاقة: المهيمن بالمهيمن عليه، المبين بالمُسْتَبْيَن، الفيصل بالمفصول فيه، المفصِّل بالمبهم، لابد أن تتضمَّن اختلافاً بعيداً بين الفاعل والمنفعل، بين المؤثِّر (القرآن) والمتأثر (كتب العهدين).

وذلك يجعل من القول باقتباس القرآن من التوراة والإنجيل مناقضاً لطبائع الأشياء وبدهيات الأمور، ومنافياً لحقيقة الاختلاف والتباين البعيد بين القرآن وكتب العهدين القديم والجديد.

وهذا ما نطق به المبشر الدومنياني الراهب دي مونت كروس في أحد مقاطع جدلياته ضد أصالة القرآن، قائلا: "يا محمد أنا لا أصدق أنك قد تسلمت هذه الآراء من الله؛ لأنك عجيب غريب في رسالتك؛ لأنك لا تتفق مع أي كتاب مقدس آخر... يجب أن ننبذ ما ادعى محمد أنه تسلمه من الله؛ لأنه مناقض تماماً للأحكام التي كتبها موسى والأنبياء والرسل بعده"[١].

وليست طبيعة العلاقة بين القرآن وكتب اليهود والنصارى هي العائق الوحيد أمام صحة الزعم باقتباس القرآن من كتب العهدين القديم والجديد، بل هناك عوائق أخرى يحول كل منها أمام أيّ احتمال للقول بسلامة هذا الزعم من وجه من الوجوه، وتتمثل هذه العوائق التي تؤلف في الوقت نفسه دلائل تهافت شبهة اقتباس القرآن من كتب اليهود والنصارى، فيما يلي:

(١) قاسم السامرائي، مرجع سابق، ص ٦٢.

أولاً : شخصية الرسول ﷺ :

تقدم حياة النبي ﷺ برهاناً ساطعاً على صحة تلقيه الوحي القرآني عن ربه، وعدم صحة الزعم باقتباسه ﷺ من كتب اليهود والنصارى أو تعلمه من أحدهم، وذلك من وجوه:

١- حياته ﷺ المعروفة بتفاصيلها ودقائقها، حيث لم يؤثر عنه الجلوس إلى أحد النصارى أو اليهود بمكة أو غيرها للتعلم والمدارسة، وليس هناك أيٌّ دليل محسوس أو ملموس على تعلمه ﷺ شيئاً من أهل الكتاب، بل ولا دليل على جلوسه للتعلم على يد أحد من غيرهم في أيٍّ من فروع العلم والثقافة أو الصناعات والحرف، وقد استدل القرآن على لسان النبي ﷺ بذلك الدليل في مواجهة قومه. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٦).

أما ما تذكره جدليات التنصير من مصادر تعليمية حية للنبي ﷺ على يد بعض أسماء من أهل الكتاب، فهي أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: ورقة بن نوفل ابن عم خديجة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وهنا يقدم لنا علم نقد النصوص البرهان الكافي على أصالة تلقي النبي ﷺ الوحي القرآني من ربه ، وامتناع تعلمه شيئاً من ورقة أو غيره، حيث يقول ورقة ما نصه: "وإن يدركني يومك

أنصرك نصراً مؤزراً"[1] ، إذ لم يكن ورقة ليؤمن بنبوة رجل يجلس منه مجلس المتعلم.

الثاني: بحيرا الراهب، ونسبة تعلم النبي ﷺ شيئاً منه هي نوع من الخيال القصصي الذي يتهاوى أمام الفحص النقدي لمتون القصص، حيث تقطع وقائع القصة بأنها تمت في جزء من نهار أمام أعين القرشيين، وأن النبي ﷺ كان مستخبراً عنه، ولم يكن مُخْبَراً بشيء، وأن الراهب أخبرهم أن محمداً ﷺ رسول إلى العالمين بدليل خاتم النبوة أسفل كتفه[2].

الثالث: مَنْ كانوا في صحبة النبي ﷺ، مثل بلال الحبشي، أو صهيب الرومي، أو ماريا القبطية، وهؤلاء وغيرهم لا يقوم بهم دليل على شبهة تعليم النبي ﷺ؛ وذلك لسببين:

---

(١) صحيح البخاري، [كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٣].

(٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٢ / ٢٧٨، ٢٧٩)، ط ٥، دار المعارف. القاهرة.

- ابن هشام الحميري، السيرة النبوية (١ / ١٨٠ - ١٨٣)، ط ٢، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٧٥هـ.

- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية (٣ / ٤٣٥ - ٤٤٢)، دار هجر. القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. وقد أورد الترمذي في جامعه إخبار بحيرا بنبوة محمد ﷺ إلى العالمين واستدلاله بخاتم النبوة تحت كتفه ﷺ.

جامع الترمذي [كتاب المناقب / باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، حديث رقم ٣٦٢٠].

أولهما: تاريخيّ؛ حيث لم يظهروا في صحبة النبي ﷺ إلا بعد بدء نزول القرآن وبعد ظهور الإسلام، **وثانيهما**: كونهم مسلمين آمنوا بصحة نبوته ونزول الوحي عليه بالقرآن الكريم، وليس هناك برهان على انتفاء شبهة التعلم أوقع من تصديقهم لتلقيه الوحي بالقرآن وإيمانهم به.

٢- أمانته وصدقه ﷺ، حتى إنه كان يلقّب بالصادق الأمين، ولم يكن هذا الصادق ليذر الخيانة والكذب على الناس، ثم يقترفهما في حق الله.

ثانياً: تاريخ كتب العهدين القديم والجديد.

يقوم تاريخ العهد القديم والعهد الجديد حائلا أمام شبهة التعلم منهما، وذلك من جانبين:

الجانب الأول: النسخة العربية من كتب العهدين:

هذه النسخة لم تكن في عهد النبي ﷺ، ولا بعده بقرون، فقد بحث القس روبير شدياق محقق كتاب "الرد الجميل" للغزالي عن ترجمة عربية للعهد الجديد، فلم يعثر على أي ترجمة حتى عصر الغزالي في القرن الخامس الهجري[١].

وهذه النتيجة هي ما انتهت إليه أحدث دائرة للمعارف الدينية (Theologische Realenzyklopädie) من خلال تتبعها الدقيق لتاريخ أقدم تراجم العهد الجديد[٢].

---

(١) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص ٢٤٧، بترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

(٢) Theologische Realenzkylopädie , 4 , 211 - 213, London - New York - Bonn.

أما وجود نص عربي للتوراة فأبعد في الاستحالة، وإلى جانب ذلك فلم يكن بمكة أحد من علماء اليهود يمكن الادعاء بأن محمداً ﷺ قد تعلم منه، أما الزعم بإمكان الإفادة من يهود المدينة، فذلك باطل تاريخياً؛ لأن السور المكية هي التي عرضت أطوار قصص التوراة بتفاصيلها الدقيقة، على النحو التالي[1].

سورة الأعراف عن آدم ١١ ـ ٢٥ وموسى ١٠٢ ـ ١٧٦، وسورة يونس عن موسى ٧٥ ـ ٩٢، وسورة هود عن نوح ٢٥ ـ ٤٩، وإبراهيم ولوط ٦٩ ـ ٨٢، وسورة يوسف عن يوسف، وسورة الحجر عن آدم وإبراهيم ولوط ٢٦ ـ ٧٧، وسورة الإسراء عن بني إسرائيل ٤ ـ ٨، وسورة الكهف عن أهل الكهف ٩ ـ ٢٥، وموسى ٦٠ ـ ٨٢، وسورة مريم عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى ... إلخ ١ ـ ٣٣، وسورة طه عن موسى ٩ ـ ٩٨، وسورة الأنبياء عن إبراهيم ٥١ ـ ٧٠ وداود وسليمان ٧٨ ـ ٨٢ وسورة الشعراء عن موسى وإبراهيم ونوح .... إلخ ١٠ ـ ١٨٩، وسورة النمل عن موسى وداود وسليمان ٧ ـ ٤٤، وسورة القصص عن موسى ٣ ـ ٤٣، وقارون ٧٦ ـ ٨٢، وسورة العنكبوت عن نوح وإبراهيم ولوط ١٤ ـ ٣٥، وسورة سبأ عن داود وسليمان ١٠ ـ ١٤، وسورة صٓ عن داود وسليمان وأيوب ١٧ ـ ٤٤، وسورة الذاريات عن إبراهيم ٢٤ ـ ٣٧.

---

(١) محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص ١٥٦، ١٥٧، دار القلم، الكويت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

وذلك يعني انهيار الدعوى محل النزاع من أساسها، فلا النص موضع الدعوى موجود في زمنه ﷺ، ولا إمكان القراءة سبيل الإفادة من النص متوافرة لدى المدعى عليه.

الجانب الثاني: نسخ العهد القديم والجديد:

تؤلف نسخ العهد القديم والجديد أكبر عائق أمام الزعم بتعلم النبي ﷺ أو غيره من كتب اليهود والنصارى؛ لأن العهد القديم والجديد ليس نسخة واحدة معتمدة من معتنقيها، بل يمكن القول بدون أيّ تجاوز علمي: إن العهد القديم ثلاثة كتب مختلفة الحجم والمحتوى والأسلوب، وهي:

١- توراة السامرة.

٢- الترجمة السبعينية.

٣- توراة العبرانيين[١].

ولا يختلف الأمر بالنسبة للعهد الجديد الذي يختلف باختلاف الكنيسة التابع لها، ولذلك توجد أكثر من ثلاث نسخ رئيسة للعهد الجديد، وهي: العهد الجديد للأرثوذكس، العهد الجديد للكاثوليك، العهد الجديد للبروتستانت، العهد الجديد للأقباط، العهد الجديد للأرمن[٢].

---

(١) R . Smendl , Die Entstehung des Alten Testament , Stuttgart - Mainz .
Wemer . Kuemmel , Einleitung in das Neue 1978.
Testament , Heidlberg 1983.

(٢) -B . F . Westcott , The Bible in the Church , Grand Rapids . (U.S.A 1980)

وفي النصف الأول من القرن الماضي اكتُشفت في وادي قمران بالأردن وفي نجع حمادي بصعيد مصر عدة مخطوطات بيَّنت أن هناك كتباً مقدسة أخرى لدى طوائف اليهود والنصارى(١).

ولا شك أن الاعتماد على أية نسخة من النسخ سيقود حتماً إلى التناقض مع معطيات النسخ الأخرى، ويكفي للتدليل على ذلك، ذكر مثال واحد للاختلاف بين نسخ التوراة الثلاث حول أعمار الخليقة من آدم إلى الطوفان، كما يبينها الجدول التالي(٢):

الاسم	العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
آنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
يارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
متوشالح	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
الزمان من خلق آدم إلى الطوفان	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

(١) J . M . Robinson , Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi Fuer die Heutige Theologie und Fruhe Christentum, Bamberg 22 .6 . 93 (vortrag) .

(٢) سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٨٦ .

وانظر في محتوى مخطوطات البحر الميت:

– محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون. عمان ١٩٦٧م.

– أنيس فريحه، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. بترجمة إبراهيم مطر. بيروت ١٩٥٧م.

وكذلك الشأن فيما يخص الأناجيل، إذ الاختلاف بينها أعمق، وبخاصة فيما يتعلق بنسب المسيح -عليه السلام- من حيث أعداد الأنسال وأسماؤهم من آدم إلى المسيح، كما يظهر من خلال الجدول التالي[1]:

(أ) نسب المسيح قبل إبراهيم		(ب) نسب المسيح قبل داود	
حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا	حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
إنجيل متى لا يذكر أي اسم قبل إبراهيم	١ آدم	١ إبراهيم	١ إبراهيم
	٢ شيث	٢ إسحاق	٢ إسحاق
	٣ أندش	٣ يعقوب	٣ يعقوب
	٤ قينان	٤ يهوذا	٤ يهوذا
	٥ مهلتيل	٥ فارص	٥ فارص
	٦ يارد	٦ حصرون	٦ حصرون
	٧ أخنوخ	٧ آرام	٧ عرني
	٨ متوشالح	٨ عمينا داب	٨ أدمنى
	٩ لامك	٩ نعشون	٩ عمينا داب
	١٠ نوح	١٠ سليمان	١٠ نحشون
	١١ سام	١١ بوعز	١١ شالح
	١٢ أرفكشاد	١٢ عبيد	١٢ بوعز
	١٣ قينان	١٣ يسى	١٣ عويبد
	١٤ شالح	١٤ داود	١٤ يسى
	١٥ عابر		
	١٦ فالج		
	١٧ راعو		
	١٨ سروح		
	١٩ ناحور		
	٢٠ تارح		

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٠٨ -١١٠، دار المعارف، لبنان ١٩٧٧م .

(ج) نسب المسيح بعد داود					
حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا	حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا	حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
١ سليمان	١ سليمان	النفي إلى بابل			٢٨ شمعي
٢ رحيعام	٢ ناتان	١٥ شالتئيل	١٥ بوسي		٢٩ متتبا
٣ أبيا	٣ مناتا	١٦ زربابل	١٦ عير		٣٠ مآت
٤ أسا	٤ منا	١٧ أيهود	١٧ المودام		٣١ نجاي
٥ بوشافاط	٥ مليا	١٨ ألياقيم	١٨ قوسام		٣٢ حسلي
٦ بورام	٦ ألياقيم	١٩ عازور	١٩ آدي		٣٣ ناحوم
٧ عزيا	٧ يونان	٢٠ صادوق	٢٠ ملكي		٣٤ عاموس
٨ يوتام	٨ يوسف	٢١ أكيم	٢١ نيري		٣٥ متتبا
٩ أحاز	٩ يهوذا	٢٢ اليهود	٢٢ شائتيل		٣٦ يوسف
١٠ حرقيا	١٠ شمعون	٢٣ العازار	٢٣ زربابل		٣٧ ينا
١١ منسى	١١ لاوي	٢٤ متان	٢٤ ريسا		٣٨ ملكي
١٢ أمون	١٢ منات	٢٥ يعقوب	٢٥ يوحنا		٣٩ لاوي
١٣ يوشيا	١٣ يوريوم	٢٦ يوسف	٢٦ يهوذا		٤٠ متات
١٤ يكنيا	١٤ عازر	٢٧ عيسى	٢٧ يوسف		٤١ عالي
					٤٢ يوسف
					٤٣ عيسى

ويظهر جلياً التضارب الشديد بين متى ولوقا من حيث :

١- الأجداد قبل إبراهيم : لا يذكر متى عنهم شيئاً .

٢- يزيد لوقا في أعداد أجداد المسيح من إبراهيم إلى داود فيذكر ١٥ جداً، أما متى فيذكر ١٤ جداً .

٣- الأجداد من بعد داود : إلى جانب الاختلاف الشديد في الأسماء تختلف الأعداد اختلافاً كبيراً إذ يذكر متى ٢٦ جداً ، أما لوقا فيذكر ٤١ جداً .

ثالثاً : إعجاز النظم القرآني :

النظم القرآني هو طريقة التأليف العجيبة التي تفرد بها القرآن ، وخالفت جميع طرق العرب في البلاغة وأعجزتهم عن إجابة التحدي الذي دعاهم إليه[١] .

ويتضمن إعجاز النظم القرآني جوانب يظهر من خلالها تفرده، وهي :

أ - اللفظ ، حيث جاءت ألفاظ القرآن على غير المعهود من الجزالة .

ب - المعنى ، وتبدو بلاغة المعاني في مطابقتها للألفاظ ، وفي تعبيرها التام بأقل لفظ ممكن .

جـ - التركيب ، وجاء معتدلا غير متباين ، متناسباً غير متنافر ، محكماً إذا نزعت إحدى لبناته، ثم أديرت كلمات العرب كلمة كلمة لم يوجد أنسب منها .

---

(١) حسن طبل ، حول الإعجاز البلاغي للقرآن ، ص ٧٤ - ٧٦ ، مرجع سابق .

وهذا الجانب من جوانب الإعجاز القرآني لا تعرفه كتب اليهود والنصارى التي يزاد فيها السفر والسفران ، والإصحاح والإصحاحان ، والآية والآيتان ، والكلمة والكلمات من دون إحساس بتغيير أو تبديل في الأسلوب؛ لأن طرائق التعبير لدى المؤلفين متقاربة .

كما أن هذه الكتب صُنِّفت على مراحل زمنية طويلة ونسخت بلغات عدة مما أوهن من قيمتها التعبيرية .

فهل من الممكن أن يحاكي السامي في طبقته المتدنِّي عنه؟ !

رابعاً : الاختلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام في أصول الإيمان :

جاءت أصول الإيمان في القرآن وكتب العهدين متباينة تبايناً واضحاً تتهاوى معها كل محاولة للقول بتأثير وتأثر بين سابق ولاحق ، وذلك على النحو الآتي :

١- **الألوهية** : الإله في اليهودية عنصريّ قبليّ ذو صفات بشرية، وفي المسيحية الإله مثلث، أحد أضلاعه ابن يولد لأب يسمح بتقديمه إلى الضرب والإهانة والصلب والموت، ثم يقوم الإله الميت من قبره ويصعد إلى جوار أبيه، وبدون أن يلقى عوناً من أبيه أو من الروح القدس الرب الثالث المنبثق من الأب الوالد والابن المولود، أما في الإسلام فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

٢- **النبوة** : تكون النبوة في اليهودية فردية وجماعية وتكتسب بالتعليم، وفي النصرانية مرسل الأنبياء هو المسيح، وفي الإسلام اصطفاء النبوة من الخالق لبعض عباده المؤيَّدين بما يثبت صدق دعواهم في التبليغ عن ربهم .

٣- **اليوم الآخر**: تصمت اليهودية، ولا تنضبط المعتقدات الغامضة للنصارى فيه، ويفصِّل الإسلام أخبار اليوم الآخر تفصيلاً دقيقاً.

٤- **الكتب السماوية**: يكفر اليهود بالإنجيل والقرآن، ويكفر النصارى بالقرآن، ويؤمن المسلمون بجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله وثبتت صحة سندها إليهم.

٥- **الملائكة**: يصور العهد القديم الملائكة على أنهم أبناء الله المجتمعون في حضرة رب السماء ومعهم الشيطان[١]، وفي بدء الخليقة اتخذوا صورة بشرية حيث تزوجوا من بنات آدم وأنجبوا منهن عمالقة جبابرة[٢].

ويقدم العهد الجديد الملائكة على أنهم أبناء الله الذين لا يموتون[٣]، وهم واقعون تحت سلطان الخطيئة حيث يخطئون فيقيدون في السلاسل ويطرحون في جهنم[٤]، والذي يقوم بمحاسبتهم هم رسل المسيح[٥].

---

(١) العهد القديم (نسخة الكاثوليك)، سفر أيوب (١/٦، ٧، ٢/١، ٢)، دار المشرق. بيروت ١٩٨٩ م.

(٢) العهد القديم، سفر التكوين (٦/١ - ٤)، مرجع سابق.

(٣) العهد الجديد (نسخة الكاثوليك)، إنجيل لوقا (٢٠/٣٦)، دار المشرق. بيروت ١٩٨٩ م.

(٤) العهد الجديد، رسالة بطرس (٢/٤)، رسالة يهوذا (١/٦) مرجع سابق.

(٥) العهد الجديد، الرسالة إلى أهل كورنثوس (٦/٢، ٣).

أما الملائكة في الإسلام فمخلوقات نورانية منزّهة عن الخصائص البشرية ومبرَّأة من المعصية، فهم عباد مكرمون مفطورون على الطاعة لا يعصون الله ما أمرهم وكلّفهم به من أعمال[1].

٦- **القدر**: بينما في الإسلام لا يقع شيء في الكون سواء أكان مادياً أم كان متعلقاً بأفعال الإنسان إلا بإذن الله ، وأن جميع تلك الأحداث مسطورة بعلم الله في كتاب سابق ، فإن المسيحية ترجع الأفعال إلى المحبة ، ولا يتضح في اليهودية أي تأثير للقدرة الإلهية في أفعال العباد .

وكما اختلفت أصول الإيمان بين الديانات الثلاث اختلف الأساس الذي يقوم عليه الإيمان :

ففي اليهودية الإيمان وراثيّ عنصريّ ، وفي المسيحية يقوم الإيمان على إلغاء العقل، كما أرسى ذلك القديس أوغسطين في محاورته : "أنا أومن لأني لا أعقل" ، والقديس أنسلم أسقف كانتربوري : " آمن كي تعقل"[2] .

---

(١) البيجوري ، تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد، ص ١٣١، دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٣ م .

- عمر الأشقر ، عالم الملائكة ، ص ٢٢ - ٣٢ ، دار النفائس. الأردن ١٩٩٥ م .

(٢) راجع ترجمة المحاورتين لدى: حسن حنفي ، نماذج من الفلسفة المسيحية ، الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٨٨ م .

أما القرآن فلم يكتف بإعلان عدم فرض الإيمان من الخارج: ﴿ ... فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴾ (الكهف: ٢٩). ولكنه أدان بقوة كل اتباع أعمى يلقي بزمامه إلى سلطة لا تستند إلى العقل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠)، وقد دعا دائماً وباستمرار إلى التأمل الفردي المنسحب من تأثير الوسط الخارجي والأفكار السابقة ومن كل فكرة مستقاة بدون تمحيص: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦).

وقد أقرّ المنصِّر لودوفيكو مرتّشي بذلك التفرد للإسلام في مقدمته الجدلية "دحض القرآن" حينما كان يفتش عن سر إقبال الوثنية على الإسلام دون المسيحية. يقول مرتّشي: "القرآن والإنجيل حين يُعْرَضَان على غير المؤمنين فإنهم يفضلون القرآن على الإنجيل، ويجب ألا نشك في أن كتاب محمد لا يقدم للعقل أفكاراً يصعب على العقل فهمها ولا سيما العقل الفاسد وعدو الغموض.

فمثلا لا يوجد إلا إله واحد حكيم وقدير، خالق الأشياء كلها ومدبرها، ومخالف للحوادث، ويجب أن يصلَّى له بخشوع وخضوع، وأن يكون الإنسان متسامحاً مع الفقراء، ويؤدي مناسك الحج، ويطهر بدنه بالصيام، ويحافظ على العدل والوسطية وطيبة القلب والشفقة،

وكذلك كل الفضائل السهلة الأخرى ، فلا يجوز أن يُؤذى إنسان بل يجب أن يُحمى من السرقة والقتل والزنى وأي جريمة أيا كانت ، ويجب أن يحتقر كل ما في الدنيا بوصفه عابراً وغير ثابت ، ويستمسك فقط بالأعمال الصالحة التي لن يضيع أجرها، وسيكون لنا في النهاية يوم نعود فيه إلى الله لنجزى على ما فعلنا : فالطيبون سيجدون في السماء نعيماً مقيماً وما يشتهون وسيذوق الأشرار في جهنم عذاباً لا نهاية له .

كل هذه المبادئ وغيرها تنتشر في القرآن بطريقة مفهومة وواضحة أكثر من المبادئ الإنجيلية .

ومن ناحية أخرى إذا سمع أحد الوثنيين كلام أحد المبشرين أن الإله الحق الواحد الذي يتكلم عليه واحد وثلاثة ، وأن الإله حلَّ في رجل ، وأنه فقير ، وأنه عانى وصلب ومات ودفن وكان هو نفسه معجزة ، وفي سر القربان المقدس أن سر التوبة ضروري مطلقاً ، وأن الزواج الأحادي لابد منه وأن الرباط المقدس لا يفصم ، وأن الحياة يجب أن تكون صليباً مفصلا ، وأنه يجب أن يحسن الإنسان حتى إلى أعدائه، وأن السعادة الحقة تكمن في أشياء لا تراها العين ، ولم تسمعها الأذن ولم تخطر على قلب الإنسان، وحكم أخرى مشابهة تكون في متناول السماع الإنساني أو تكون صعبة جداً إن لم تكن مستحيلة بالنسبة لحياتنا وحماقتنا الطبيعية .

فأي وثنيّ سيسمع هذه الأشياء ويقارنها بمذهب القرآن، انظر إلى أيّ جهة سيتوجه" ؟[1] .

خامساً : أثر القرآن والتوراة والإنجيل في الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية :

جاءت الكتب السماوية لهداية الإنسان وإرشاده إلى ربه وتحقيق العبودية الكاملة له.

وهنا يبرز التفاوت الكبير في أثر القرآن والتوراة والأناجيل في تنظيم حياة الإنسان ورقيه الحضاري .

ويبدأ هذا التفاوت من منهج المعالجة ، فبينما يغيب معنى الإنسانية عن العهد القديم ، ويختفي من العهد الجديد الجانب التشريعي ، نجد الشمول[2] في المعالجات القرآنية لقضايا الاعتقاد والتشريع والنفس الإنسانية والسلوك، يقول تعالى : ﴿ . . .مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ . . . ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

فالقرآن يتناول حقائق الكون والحياة بدءاً بذرة الوجود المستودعة في باطن الصخر والمستقرة في أعماق البحار : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ . . . ﴾ (لقمان : ١٦)

(١) نقلا عن عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص ١٤١، ١٤٢ .

(٢) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، بترجمة عبد الصبور شاهين ، ص ١٨٧ ، دار الفكر . دمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

إلى النجم السابح في فلكه نحو مستقره المعلوم: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨).

وكذلك يتقصى أبعد الجوانب في النفس الإنسانية مسجلا أدق الانفعالات والخلجات الشعورية، ونتيجة التعمق في تناول النفس الإنسانية جاءت تقريراته الأخلاقية ثمرة للمعرفة العميقة بالطبيعة الإنسانية، فسجل القرآن خرائط تفصيلية للفضائل الإنسانية المتجسدة لدى الأسوة الحسنة من الأنبياء والرسل، وبيّن ما يجب على ذي الخلق اجتنابه من رذائل الأعمال وكبائر الإثم والفواحش .

أما تاريخ الإنسانية فيتجه القرآن نحو ماضيها البعيد، ويوجّه مستقبلها، ويُعْلم بحاضرها من خلال تتبّع أخّاذ لمشاهد الحضارات وارتقاء الأمم .

ويتجلى التفاوت الكبير بين أثر القرآن وكلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد في الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية، في الجوانب التالية :

الأول: الأخلاق:

جاءت التعاليم الأخلاقية في العهد القديم قاصرة على توجيه بني إسرائيل وإصلاح الفساد الأخلاقي المتأصل في نفوسهم جيلاً بعد جيل على امتداد عشرات القرون .

فقد وصفهم سفر التثنية -من أوائل المكتوبات التوراتية- بأنهم "جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم"[1] ، ثم وصفتهم أسفار أنبيائهم الكبار بأن "أعمالهم أعمال إثم، وفعل الظلم في أيديهم ، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي ، أفكارهم أفكار إثم ، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه ، وليس في مسالكهم عدل ، جعلوا لأنفسهم سبيلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً"[2] . وجاء أجمع تشخيص لأخلاق اليهود على لسان أرميا : "وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير"[3] .

وكان هذا هو محور التعاليم الأخلاقية في العهد القديم التي دارت حول إصلاح الفساد الأخلاقي وتهذيب النفوس الشريرة ؛ ولذلك جاءت الوصايا العشر -وهي أبرز التعاليم الأخلاقية في اليهودية- بصيغة السلب أو الانتهاء عن فعل الشر: "لا تقتل ، ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور ، ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كلَّ ما لقريبك"[4] فالتعاليم الأخلاقية في اليهودية -إذاً- تعاليم خاصة بعنصر بشري ذي طبيعة سلوكية مريضة .

---

(١) سفر التثنية (٢٠ / ٣٢).

(٢) إشعياء (٢٩ / ٦-٨) .

(٣) أرمياء (١٢ / ١٦) .

(٤) سفر التثنية (٥ / ١٧-٢١)، وانظر: سفر الخروج (٢٠ / ١٣-١٦).

ولم تبتعد التعاليم الأخلاقية في الإنجيل عن ذلك كثيراً ، إذ تدعو إلى الكف عن فعل الشر وإلى عدم مقاومته ، كما جاء في موعظة المسيح على الجبل "سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوّك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم"(١) .

وكما أن هذه التعاليم الأخلاقية قد جاءت –خاصة– للحد من غلواء بني إسرائيل الذين أرسل المسيح إليهم ، فإنها إلى جانب ذلك تعاليم غير واقعية لا يقدر عليها كثير من البشر ، حتى المسيح نفسه –كما تحكي عنه الأناجيل– عندما لطمه أحد خدّام رئيس الكهنة لم يدر له المسيح خده الآخر، بل قال له: "إن كنتُ تكلمت رديّاً فاشهد على الردي ، وإن حسناً فلماذا تضربني" ؟(٢) .

أما القرآن فقد اشتمل على دستور أخلاقي متكامل يقوم على عناصر ثلاثة هي(٣):

---

(١) إنجيل متى (٥/٣٨-٤٤) .

(٢) إنجيل يوحنا (١٨/٢٣) .

(٣) عبد الراضي محمد عبد المحسن ، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية ، ص ٤١ – ٧٢، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة السادسة. عدد ٦ ، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١- **المعرفة**، حيث بينت نظرية الأخلاق الإسلامية أمهات المسائل والقضايا الأخلاقية المتعلقة بمبادئ الأخلاق ، وأصولها ، وطبيعتها ، وطرق اكتسابها ، وغايتها ، ومصادر الإلزام فيها .

٢- **التربية**، وهي الوسائل والوسائط الأخلاقية المنوط بها تحويل المعرفة والمبادئ الأخلاقية إلى سلوك عملي ، أي أنها تخرج الأخلاق من حالة القوة إلى الفعل من النظرية إلى التطبيق ، وهذا العنصر تتفرد به منظومة الأخلاق في الإسلام، حيث تقدم دستورها الأخلاقي مقروناً بمنهج تطبيقه، وبوسائل تنقله من حالة النظر المجرد إلى واقع الحياة والعمل، عن طريق الوسائل الدافعة، مثل: القدوة الصالحة، الموعظة ، الصحبة ، والوسائل المانعة ، مثل: الاعتبار، العقوبة .

٣- **السلوك**، وهو الأفعال الأخلاقية الإرادية التي تشمل الفعل الظاهر وأعمال القلب من نية وإرادة واعتقاد ، مما يترتب عليه الجزاء والمسؤولية سواء أكان متعلقاً بعلاقة الفرد بنفسه، أم بالمجتمع، أم بالكائنات الحية الأخرى ، وهذا المفهوم جعل الحياة الإنسانية كلها ميداناً للعمل الأخلاقي في الإسلام.

ويعني هذا أن الأخلاق الدينية جزء رئيسي من العمل الأخلاقي في الإسلام، وهذا مما تفردت به -كذلك- منظومة الأخلاق في الإسلام .

ويمكن القول إن دستور الأخلاق الإسلامية هو الدستور الوحيد متكامل الجوانب في تاريخ الأخلاق ذات المصدر الديني أو الفلسفي ، بما تضمنه من دائرة خطاب تشمل الإنسانية كلها ، وبما اشتمل عليه التكليف الأخلاقي من دوائر ثلاث :

١– فعل الخير والدعوة إليه .

٢– اجتناب الشر ودواعيه .

٣– مقاومة الشر والتصدي له ، وهو ما يجعل مبادئ الأخلاق فيه إيجابية بخلاف غيره .

وإلى جانب هذا التكامل في الجوانب الأخلاقية في الإسلام ، هناك الوسطية والواقعية التي تعد أهم خصائص الدستور الأخلاقي في الإسلام والتي تَمكَّنَ بها من أن يكون الدستور الأخلاقي الوحيد الذي طُبِّق بحذافيره من قِبل مبلِّغه محمد ﷺ ، ومن قِبل صحابته الأخيار والأجيال الفاضلة من بعدهم ، ولا زال يطبّق حتى يوم الناس هذا .

الثاني : المجتمع :

على أرض فلسطين وضع العهد القديم أسس مجتمع عنصريّ خاص بالعبرانيين؛ لذلك فإن الدول التي كوّنها شعب العهد على أرض فلسطين حملت أسماءه العنصرية السلالية ، دولة يهوذا في الجنوب ودولة إسرائيل في الشمال .

ولزم عن ذلك أن حق الحياة وحق المواطنة الكاملة كانا مكفولين للإسرائيلي فقط ، أما غير الإسرائيلي فحكمه إما القتل وإما الاستعباد . يقول سفر التثنية : "وحين تقرب مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك .

وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك .

هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما"[١] .

وقد لخص مناحيم بيجن رئيس الوزراء اليهودي واجب اليهود تجاه المجتمع الإنساني كما تعلمه من التوراة ، قائلاً : "بالدم والنار والدموع والدخان وبنوعٍ جديد من الإنسانية ، نوع مجهول للعالم منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام اليهودي المحارب ، قبل كل شيء يجب أن نبدأ الهجوم ، فمن الدم والعرق سوف يولد جيل فخور كريم قوي"[٢] .

وفي جانب المعاملات مع غير اليهود يوصي العهد القديم أتباعه قائلا : "للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا"[٣] . ويشدد على أهمية التضييق على الأجانب في المعاملات قائلا : "الأجنبيَّ تطالب، وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدُك منه"[٤] .

---

(١) سفر التثنية (٣ / ١٠-١٦) .

(٢) رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية ، ص ١٨٦ ، سلسلة عالم المعرفة العدد (١٠٢) . وزارة الإعلام بالكويت .

(٣) سفر التثنية (٢٠ / ٢٣) .

(٤) سفر التثنية (٣ / ١٥) .

لكن المسيحية فتحت الباب أمام الوثنيين في حق الحياة والمواطنة ، إلا أن روح الاستعباد والتدمير ما فتئت حية في الخلق المسيحيّ ، فلا زالت "المدنية الأوربية في واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة"[1] ، وقد اتضح ذلك من خلال ممارسات الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش ، والحروب التدميرية العالمية الأولى والثانية ، والحروب الاستعمارية الطويلة ضد العالم الإسلامي ، وفي أيامنا هذه حروب الإبادة ضد المسلمين في أوربا كحرب البوسنة والهرسك ، وحرب كوسوفا .

أما القرآن فقد أرسى دعائم مجتمع إنساني متكافئ، دعامة التميز فيه هي التقوى. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

وأساس الحكم فيه العدل بين الجميع حتى الخصوم والأعداء منهم . قال تعالى : ﴿ ... وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨)، وحق الحياة مكفول للجميع، فحرمة النفس ذات شأن عظيم القدر: ﴿ ... مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا... ﴾ (المائدة: ٣٢) .

ولذلك انصهرت في بوتقة الإسلام مختلف الأمم والشعوب التي ضمتها دولته ، بل برزت من أبناء الشعوب الإسلامية غير العربية قمم في العلوم التجريبية والعربية والإسلامية ، فكانت ظاهرة لافتة للنظر.

---

(١) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤١ ، مرجع سابق .

بل إن أبناء أهل الكتاب من اليهود والنصارى أتيحت لهم فرص النبوغ والتفوق العلمي في ظل الدولة الإسلامية، فعاش واشتهر موسى ابن ميمون، وسعديا الفيومي، وابن كمونة، ويوحنا الدمشقي، وابن العسال، وغيرهم ممن تبوأ كذلك المناصب الإدارية العالية في الدولة الإسلامية.

الثالث: العلم:

إذا كان العهد القديم كتاب إصلاح لجماعة محدودة من البشر في فترة محدودة من الزمن، فإن قضايا العلم وموضوعاته لا تحتل أيّ مكان يعتد به في أسفاره وإصحاحاته؛ لأن العلم يتطلب استقراراً روحياً، واجتماعياً، ودافعاً إيمانيًّا لخدمة بني الإنسان، وكلها عوامل افتقدها شعب العهد القديم.

لذلك لا يمكن بحال الحديث عن أثر للعهد القديم في إسهام علميّ أو معرفيّ عبر التاريخ، بل يمكن الحديث عن معوِّقات وعراقيل وضعها العهد القديم أمام التطور العلمي؛ لأن بإمكاننا رصد عدم ظهور أية عقلية علمية يهودية قبل الإسلام، وبخصوص علماء اليهود الذين عرفهم العالم بعد الإسلام فذلك راجع لفضل الإسلام. كما سيتبين ذلك عند بحث تأثير الإسلام في اليهودية والنصرانية.

ولعل أهم أسباب الخصومة بين العهد القديم والعلم، وبالتالي انتفاء أي أثر للعهد القديم في نشأة العلوم أو تطورها، هو افتقاد رب العهد القديم نفسه صفة العلم التي تمكنه من مجرد القدرة على التمييز بين

بيوت أتباعه وبيوت أعدائهم ؛ لذلك فإنه لمّا أراد إخراج شعبه من مصر وإنزال العقاب بالمصريين ، أمر بني إسرائيل أن يلطِّخوا بيوتهم بالدم كي يميزها عن بيوت المصريين فلا ينزل بها العقاب ، يقول سفر الخروج: "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر"[1].

ولم تكن المسيحية أقل هوادة في خصومتها للعلم استناداً إلى قول بولس الرسول مؤلف الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد : "حكمة هذا العالم حماقة عند الله . إن الرب عليم بأفكار الحكماء ويعلم أنها باطلة"[2] .

ولذلك استأسدت الكنيسة في حربها ضد العلم والعلماء ، فلما تجرّأ جاليليو على مقاومة اعتقاد الكنيسة في أن الأرض محمولة على قرني ثور وأن الشمس تدور حولها ، وأعلن أن الأرض هي التي تدور حول الشمس ، كان جزاؤه التكفير والمطاردة ، ولم يصدر الفاتيكان وثيقة تبرئة جاليليو من الكفر إلا عام ١٩٩٢م[3].

---

(١) سفر الخروج (١٢ / ١٣) .

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (٣ / ١٩ ، ٢٠) وانظر : (١ / ١٩ ، ٢٠-٢٧) .

(٣) محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، ص ١٠٩ ، دار النفائس، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

وقد كان كل ذلك طبيعياً ومتفقاً مع فكرة مؤلفي العهد الجديد عن العالم والتي جاءت غير علمية[١]. مما دفع بالعلامة "ماكس بلانك" لإصدار حكمه الشهير عام ١٩٤٧م ، بأنه "للإبقاء على قيمة ما للمسيحية للعالم المعاصر ومن ثمَّ للعالم الغربي ، يجب على الإنسان أن يقرر بإخلاص التخلي عن المعجزات التي تشكل عائقاً شائكاً أمام وصول المسيحية إلى إنسان الحضارة المعاصرة بسبب تعارضها مع العلم"[٢] .

وبالفعل لم يتقدم العالم المسيحي علمياً إلا بتأثير الحضارة الإسلامية، وبعد الفصل بين ديانة العهد الجديد وتعاليمه، وبين شؤون الدنيا ومنها العلم، يقول محمد أسد : "وهكذا تكون نسبة نتاج المدنية الغربية الحديثة إلى النصرانية خطأ تاريخياً عظيماً، إن النصرانية ساهمت في جزء يسير جداً من الرقيّ العلمي المادي الذي فاق به الغرب في مدنيته الحاضرة كل ما سواه. وفي الحق أن ذلك النتاج قد برز من كفاح أوروبا المتطاول للكنيسة المسيحية ولاستشرافها للحياة"[٣] .

---

(١) Willim Born , Christlicher Glaube und Naturwissenschaft , S : 4, Blefeld 1954 .

(٢) Hermann Lais , Was sagt die Kirche zum Wunder ? S : 18 , in : Wunder umd Magie , Gesmmelten Beitraege , Wuerzburg 1962 .

(٣) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٤٠ – ٤٦ ، مرجع سابق.

أما القرآن فكان أكثر الكتب احتفاء بالعلم؛ حيث وردت لفظة العلم ومشتقاتها أكثر من ٨٢٣ مرة؛ لأن العلم في القرآن أحد وسائل المعرفة التي منحها الله للإنسان لمساعدته في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض، ولمعرفة الله تعالى والإيمان به؛ لذلك استشهد الله تعالى على وحدانيته بشهادة العلماء: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ... ﴾ (آل عمران: ١٨) ، فالعلماء أكثر الناس خشية لله بما علموا من خلقه: ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ... ﴾ (فاطر: ٢٨) .

وقد بلغ عدد الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم وحقائقها أكثر من ٧٥٠ آية ، شملت معظم مجالات العلم: كالفلك ، والطب ، والجيولوجيا ، والزراعة ، وعالم النبات ، والحيوان ، والتناسل ، والاقتصاد ، والتجارة ، والزراعة ، وعالم البحار... إلخ.

لذلك جاء أثر القرآن في تطور العلم وتأسيس العلوم والمعارف بعيداً ومدهشاً[1]. يقول روم لاندو: "ففي الإسلام لم يُوَلِّ كلٌّ من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة. لا ، والواقع أن الأول كان

(١) في ذلك يقول جورج سارطون مؤرخ العلوم: "إن معجزة العلم العربي كانت ترجع في الأكثر إلى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان الإسلامي".

نقلا عن ترجمة عمر فروخ لمحاضرة سارطون التي دعت إليها مؤسسة جورج ل كايزر.

راجع الفيومي، الاستشراق والاستعمار ، ص ٤٣٥ . مرجع سابق .

باعثاً من البواعث الرئيسة للثاني، إن الرياضيات هي كما نعلم أمٌّ العلوم التجريبية كلها، ولقد لعبت الرياضيات من غير ريب دوراً حاسماً في العلم العربي، ومع ذلك فحتى في علم تجريدي كالرياضيات كان الدين كما سوف نعلم هو الذي قرر طبيعة منجزات العرب ومداها، ولم يكن لدى العرب في الأصل أي رياضيات خاصة بهم طبعاً"(١) .

وحينما تتبع لاندو الفترة الزمنية التي احتاجها المسلمون لتشييد الصروح الشامخة للتقدم العلمي وجد أنهم: "أحرزوه خلال مائتي سنة انقضت على وفاة الرسول ﷺ ليس غير ، وعمق ذلك التقدم أمر يدعو إلى الذهول حقاً .

ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمائة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية(٢)" .

ويلخّص قاموس "برتلس مان" لديانات العالم المجالات العلمية التي طورها المسلمون ، والمجالات البحثية التي أنشؤوها ، قائلا: "تلقى الغرب من الشرق الإسلامي معارف هامة في مجالات كثيرة ، فقد جمع المسلمون علوم العالم ومعارفه: هندية ، بابلية ، مصرية ، فارسية، ويونانية ، وترجموا أهم الكتب والمصادر، ونقلوا تلك العلوم والمعارف إلى الآخرين ثانية.

---

(١) روم لاندو ، الإسلام والعرب ، ص ٢٤٦ ، بترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م .

(٢) السابق .

وفي الوقت نفسه أسسوا قواعد البحث العلمي في مجالات: الجبر ، الحساب، الكيمياء ، الفيزياء ، الجيولوجيا .

وكان استخدام الصفر العربي أساس التقدم في الرياضيات الحديثة ، وأكمل المسلمون ما أخذوه من معرفة فلكية من البابليين واليونان بواسطة ملاحظاتهم الفلكية الدقيقة .

واكتشف الأطباء المسلمون لأول مرة في تاريخ العلم الدورة الدموية، وامتلكوا معرفة عن العدوى والتعقيم، ووقفوا على وظيفة الرحم، وقاموا بعمليات التخدير الكامل، وخطوا خطوات واسعة في طرق وأساليب الجراحة.

وعلى أيديهم تطور علم الوسائط الطبية تطوراً كبيراً ، وكذلك العناية بالمرضى في المستشفيات كانت نموذجية ، وعُمّمت لتشمل الطبقات الفقيرة .

وظلّت صناعات الحديد الإسلامية لا تبارى أزماناً طويلة ، واخترع المسلمون البوصلة ، واستعملها بحارتهم في القرن الحادي عشر الميلادي، ويبدو أثر التقدم المعماري الإسلامي واضحاً في كل من بريطانيا وفرنسا بخاصة في مجال القلاع والحصون والأسوار والمنارات"[١] .

---

(١) Religionen der Welt , S : 183 , Bertlsmann Handbuch , Heraus gegeben von : Monika und Udo Tworuschka . Muenschen Guetersloh 1992 .

وانظر بالعربية : جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٣٥ ، ٥٧٩ ، بترجمة عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٦٩م .

– محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤٣ .

ويظهر أثر القرآن في تطور العلم بشكل أكثر جلاء حينما نقارن بين أثره في أمة العرب بعد اعتناقها الإسلام وبين أثر العهدين: القديم والجديد في أمة اليونان بعد اعتناقها النصرانية .

فقد ارتقى المسلمون العرب أعلى قمم النضج الحضاري والعلمي والعقلي ، بينما النصارى اليونانيون كانوا في أعلى القمم في الفلسفة والطب ، وحينما اعتنقوا النصرانية زالت فلسفتهم ، وانقرضت حكمتهم ، وولّت علومهم ، بسبب تعارض كتابهم المقدس مع العقل والعلم .

ويكشف الجدول الآتي الفارق بين تأثير القرآن في نهضة العلوم والمعارف بعد مائتي عام من نزول القرآن على محمد ﷺ، وبين تأثير العهد القديم والعهد الجديد بعد عشرات القرون من تلقيهما بالقبول من أهل الكتاب[1]:

(١) روم لاندو ، الإسلام والعرب ، ص (٢٨٣ – ٢٨٧) .

جدول كرونولوجي للعلوم في العصور الوسطى

العلوم	في العالم الإسلامي	في أوروبا والغرب
(١) الفلك والرياضيات:		
	المثل الأعلى الإسلامي: اللامتناهي	المثل الأعلى الإغريقي في الجمال يقوم على أساس من النسب والأعداد بوصفها مقادير متناهية، اعتبار المكان والزمان سكونيين، والكون (كينونة).
الخوارزمي (٧٨٠ - ٨٥٠)	يخترع جبراً (عصرياً) يحول الأعداد إلى عناصر علاقة.	
البتاني (٨٥٨ - ٩٢٩)	يحل الجيب sine محل الوتر chord يصطنع الظلال tangents وظلال التمام cotangent يقدم فكرات هامة عن النسب المثلثية.	
أبو الوفاء (٩٤٠ - ٩٩٧)	يخترع طريقة جديدة لوضع جداول الجيب sine يدخل القاطع secant وقاطع التمام cosecant سبقت دراساته في علم المثلثات دراسات كوبرنيكوس.	
البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨)	يعين خطوط العرض وخطوط الطول يخترع المسائل (البيرونية) يحول الأعداد من مجرد كميات ومقادير إلى عناصر وظيفية. الكون عنده (صيرورة).	
عمر الخيام (١٠٣٨ - ١١٢٣)	يخترع (جبراً) متقدماً، يعد تقويماً أدق من التقويم الغريغوري. صاحب (الرباعيات). المسلمون يدخلون الأرقام العربية، والصفر، والنظام العشري (القرن التاسع).	في القرن الثاني عشر ترجم جيرار الكرموني وروبرت التشيستري وغيرهما من العلماء اللاتين المؤلفات العربية في الرياضيات وعلم الفلك. أوروبا ترفض طوال مئتين وخمسين سنة (حتى القرن الخامس عشر) أن تتبنى النظام العشري).

(٢) الجغرافيا وعلم وضع الخرائط :

الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣)	يصدر أمره بقياس درجة جغرافية ، ويأمر بوضع (صورة للأرض) . علماء الفلك : الفرغاني (حوالي ٨٦٠) والبتاني (٩٠٠) والبيروني (حوالي ١٠٣٠) يعدون جداول جغرافية لخطوط الطول والعرض . الملاحون والتجار والحجاج المسلمون يجمعون معلومات جديدة عن البلدان الأجنبية .	الإغريقي ، وبطليموس بخاصة ، يقدمون الأساس لجهود العرب ومآثرهم الجغرافية .
المسعودي (٩١٢ - ٩٥٧)	يضع أول موسوعة علمية تاريخية - جغرافية .	
الإدريسي (١٠٩٩ - ١١٦٦)	يتصور الأرض كروية . يضع خرائط دقيقة . يؤلف (كتاب روجار يصنف موسوعة جغرافية) .	آثاره تترجم في روما عام ١٦١٩م .
ياقوت الحموي (١١٧٩ - ١٢٢٩)	يؤلف موسوعة في الجغرافيا والعلم .	النظرية العربية في (ذروة العالم) أو (قبة أرين) تؤثر في العلماء النصارى تأثيراً عظيماً ، وتقولب وجهات كولومبس .
ابن بطوطة (١٣٠٤م - ١٣٦٩م)	واحد من أعظم الرحالين في جميع العصور . في كتابه معلومات زادت معرفتنا بالشرق الأوسط وبآسيا زيادة عظيمة .	
الحسن الوزازي Leo Africanus (١٤٩٥م - ١٥٥٠م)	رحالة عظيم كتب أول كتاب شامل عن أفريقيا .	كتابه يترجم ، على التو ، في أوروبا .

(٣) الطب :

حنين بن إسحاق (٨١٠ - ٨٧٧)	أول مترجم للمصنفات الطبية الإغريقية. يضع في الطب كتباً ذات أصالة.	الإغريق، وبخاصة جالينوس وأبقراط، يقدمون الأساس للطب العربي.
الرازي (٨٦٥ - ٩٢٥)	واحد من أعظم الأطباء في جميع العصور. يقدم أول وصف سريري للحصبة والجدري، يؤلف أضخم كتاب في الطب.	آثاره تترجم مرات متعددة في أوروبا، فتؤثر في الأطباء الغربيين تأثيراً عظيماً.
ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٨)	أبعد العلماء المسلمين أثراً، مؤلف (القانون في الطب) يدرك طبيعة المرض السارية.	كتبه تترجم في أوروبا منذ القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر، يتمتع بالسلطان الطبي الأعظم، في الغرب.
ابن زهر (١٠٩١ - ١١٦١)	الطبيب الشهير في بلاط الموحدين في مراكش.	كتابه (التيسير) يؤثر في الأطباء الأوروبيين تأثيراً عظيماً.
ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨)	طبيب عظيم لكنه عُرف أكثر بالفلسفة.	
ابن الخطيب (١٣١٣ - ١٣٧٤)	مؤرخ ورجل دولة وطبيب دافع في رسالته (في الطاعون) عن فكرة العدوى.	
ابن خاتمة (١٣٢٣ - ١٣٦٩)	مؤلف أهم رسالة في الطاعون وضعت في القرون الوسطى. يوفق هو وابن الخطيب إلى إن يحل المفهوم القائل بأن الإنسان عضو في الأسرة الكونية متبادل العلاقة معها، محل المفهوم الإغريقي السابق القائل بأن الإنسان كل مستقل بذاته.	

(٤) الكيمياء والحمياء والفيزياء:

جابر بن حيان (حوالي ٧٧٦)	أبو الكيمياء الخمياء الإسلاميتين. يحضِّر عدداً من المواد الكيميائية الجديدة. يقوم بعمل ذي شأن في حقل المعادن وصناعة الزجاج. يدخل كثيراً من المصطلحات الكيميائية إلى اللغات الأوروبية خيميائي بارز.	
الرازي (٨٦٥ - ٩٢٥)	اشتهر أكثر ما اشتهر بوصفه طبيباً. يقدم تصنيفاً دقيقاً للمواد والعمليات الكيميائية، خيميائي بارز.	
إخوان الصفا (حركة علمية سياسية في القرن العاشر)	يصدرون عدداً من الرسائل الكيميائية والخيميائية، ظهر بعضها باسم جابر بن حيان في الفيزياء، انصب اهتمام المسلمين في المحل الأول على الساعات، والأدوات العاملة بقوة الماء وكانت لهم عناية بالدمى الميكانيكية.	
ابن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٩)	أول عالم يصحح نظريات بطليموس الخاطئة في علم البصريات، يضع الأسس لعلم البصريات الحديث، أول من استعمل (الغرفة المظلمة).	يترك أثراً كبيراً في المؤلفين في علم البصريات خلال القرون الوسطى، وفي جملتهم روجر بيكون، وكلير، وليوناردو دافنشي.

(٥) علم النبات والزراعة والبستنة :

المسلمون يدخلون في أوروبا البرتقال، والليمون، والخوخ، والمشمش، والرمان، والزعفران، والقهوة، وزراعة قصب السكر، والأرز، ويدخلون أيضاً عدداً من النباتات الطبية، ويحسنون طرائق الري، ونحن مدينون لهم بالنظرة العلمية إلى الزراعة.

ابن العوام (نهاية القرن الثالث عشر)

يؤلف أهم رسالة في الزراعة في القرون الوسطى، يدرس، على نحو علمي، تطعيم النبات، والسماد ومعالجة أمراض النبات.

ترجمات فرنسية وأسبانية لكتابه الرئيسي تظهر في القرن التاسع عشر.

ابن البيطار (توفي عام ١٢٤٨)

أعظم عالم نباتي وصيدلي في القرون الوسطى يؤلف أكمل موجز في علم النبات، ويدرس العقاقير والأغذية في توسع.

أوروبا لم تعترف بأهميته إلا في القرن التاسع عشر.

إن مآثر المسلمين البارزة في البستنة هي: إدخال مختلف الرياحين إلى أوروبا، والجنائن الفارسية والأندلسية، وإن بعض منتجات الفاكهة الإسلامية وأسمائها قد نقلت إلى أوروبا، مثل Julep (جلاب) وSyrup من لفظتي (شراب) و (رب) وAttar (عطر)، وكانت العطور العربية والفارسية ذات شعبية واسعة في أرجاء الغرب كله.

سادساً: تأثير الإسلام في اليهودية والنصرانية:

لعل هذا الوجه من أبرز دلائل تهافت المزاعم التنصيرية حول تلفيق القرآن من اليهودية والنصرانية؛ لأن واقع الأمر وحقيقة الحال أن اتجاه التأثير كان عكسياً، من اللاحق إلى السابق، وليس من السابق إلى اللاحق، وهذا الاتجاه التأثيري العكسي وإن كان على غير المألوف إلا أن له ما يسوغه، حيث جاءت اليهودية والنصرانية دعوة مرحلية لجماعات قبلية محدودة من البشر، فلمّا أرادت تجاوز طبيعتها وأهداف رسالتها احتاجت إلى عناصر تمكنها من ملاءمة الدائرة الزمانية والمكانية والثقافية الجديدة التي أرادتها لنفسها، ولمّا كانت تفتقد إلى تلك العناصر التي لم تتوافر إلا للإسلام بحكم طبيعة رسالته العالمية الخاتمة، فإن اليهودية والنصرانية تلمّستا تلك العناصر في الإسلام واقتبستها منه.

حتى إننا لا ندري إلى أي مدى يمكن أن تكون ثورات الفكر المسيحي منذ الحركة الألبية حتى حركة الإصلاح البروتستانتي محسوبة كنتائج مباشرة أو غير مباشرة لمفهوم العقيدة في القرآن[1].

يقول قاموس "برتلس مان" لديانات العالم: "لقد أثَّر الإسلام تأثيراً عظيماً في العقيدة المسيحية والفلسفة، وقاد على سبيل المثال إلى نقاش جديد حول عبادة الصور وتقديسها في المسيحية"[2].

لكن تأثير الإسلام لم يكن قاصراً على العقيدة في المسيحية فحسب، بل يمتد إلى الشريعة والكتب المقدسة، كذلك فإن تأثير

---

(١) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص ١٩٢، مرجع سابق.

(٢) Religionen der Welt , Bertelsmann Handbuch , S : 183 , ders .

الإسلام تناول اليهودية إلى جانب المسيحية ، وذلك في عدد من الجوانب يمكن إجمالها فيما يلي :

١ – المبادئ الثلاثة عشر التي جعلها موسى بن ميمون أساس الدين اليهودي وأركان الإيمان فيه ، فصاغها على غرار أصول الإيمان في الإسلام ، وأدرج فيها بعض أصول الإيمان الإسلامية مما لم يكن معروفاً في اليهودية من قبل أو مدرجاً في العهد القديم ، كالاعتقاد بأن الله عالم ، وبالثواب والعقاب في الآخرة ، والاعتقاد في بعث الموتى[١] .

وقد أقرّ ابن كمونة بعدم ذكر الثواب والعقاب الأخروي في التوراة وراح يعتذر عن ذلك ويحاول تسويغه[٢] ، وهذا يؤكد اقتباس ابن ميمون هذه الأصول من الإسلام .

٢– تحديد مفهوم النبوة والمعجزة لأول مرة في اليهودية، وكان متأثراً بنظرية الفلاسفة المشائين كالفارابي وابن سينا ، أو متابعاً لجمهور علماء الإسلام في استدلالهم على هذه المعتقدات بالنصوص القرآنية[٣] .

٣– نقد التوراة ، يقول "واكسمان" صاحب كتاب "الأدب اليهودي" : "في القرن الحادي عشر دخلت الفلسفة اليهودية مرحلة جديدة متأثرة بالمؤلفات الفلسفية الإسلامية والأفكار الإسلامية ، وكان من أثر هذا أن بدأ

---

(١) راجع المبادئ الثلاثة عشر في :
Moses ben Maimone : Sein Leben , Seine Werke und sein Einfluss , S : 112 , Hrsg von : W. Bacher . Leipzig 1908 .

(٢) ابن كمونة ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، ص ٤٠ – ٤٣ .

(٣) راجع رسالتنا للدكتوراه ، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٦ م .

الشك في التلمود ، وبدأت تظهر أفكار حرة ، ولم يقتصر الهجوم والنقد الذي قام به القراؤون والطوائف المتصلة بهم على التلمود، بل شمل الكتاب المقدس أعظم إنتاج عقلي في الدين اليهودي"[1] .

٤- إقرار المسيحية بالوظيفة النبوية للمسيح الأرضي عيسى -عليه السلام- والتي لم تجد لها مكاناً في وثائق الكنيسة إلا في قرار مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥م[2].

٥- دعوة البروتستانت إلى حرية قراءة الكتاب المقدس ورفض احتكار الكنيسة تفسيره والتي فتحت الباب أمام حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب ، تلك الحركة المنهجية التي تدين بالفضل لعلماء الإسلام كابن حزم والقرطبي وابن تيمية وابن القيم ، وغيرهم .

٦- تحريم البروتستانت لعبادة الأيقونات، ومنع وضعها في الكنائس؛ لأنها عمل وثني.

٢- دلائل تهافت الدعوى الثانية : القصص القرآني تكرار لقصص التوراة والإنجيل :

سبق القول بأن هذه الدعوى تفصيل للدعوى الأولى ، وتحديد لمجمل مزاعمها ، وتعيين القصص القرآني بأنه موضع الاقتباس والإفادة

---

(١) نقلا عن إبراهيم موسى هنداوي ، الأثر العربى في الفكر اليهودي . ص ١٤٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م .

(٢) Katechismus der katholischen Kirche . Leipzig - schwens 1993 .

من قصص التوراة والإنجيل ، ولن يجدي في رد هذه الشبهة سوى منهج نقد النصوص المقارن لإبراز جوانب التباين بين مرويات القصص القرآني ومنهجها ، وبين القصص التوراتي والإنجيل.

وبواسطة هذا المنهج أمكن الوقوف على أربعة دلائل تتهافت معها دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل ، وهي :

الدليل الأول : اختلاف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل :

يختلف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل من عدة جوانب منها :

١- مصدر القصص، حيث إن الذي يقصُّ في القرآن هو الله تبارك وتعالى[١] ، فهو المتكلم بالكلمة القرآنية ، يقول تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . . . ﴾ (يوسف : ٣) .

ويقول تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : ١٣) .

أما في التوراة والإنجيل فالله تعالى متحدَّث عنه بطريق الحكاية لتعريف الناس به .

(١) التهامي النقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ٨٠ ، الشركة التونسية للتوزيع . تونس ١٩٧٤م .

٢- الخيال القصصي ، بينما يقوم الخيال القصصي في التوراة والإنجيل بأكبر الأدوار في صياغة وتأليف قصصهما ، وهو ما كشفت عنه دراسات حديثة تعد مرجعيات في هذا الباب ، مثل دراسة: جيمس فريزر عن الفلكلور في العهد القديم[١]، ودراسة "زينون كاسيدوفسكي" عن الحقيقة والأسطورة في التوراة والتي لخّص فيها. مكانة الخيال والخرافة في القصص التوراتي، بقوله: "تناقل اليهود تراثهم الديني من جيل إلى جيل ، وساهم الطابع الفلكلوري لنقل الروايات الحقيقية بتطعيمها بكثرة من الخرافات والأساطير والأمثال والأقصوصات ، جعلت من الصعب الآن التمييز بين الواقع والخرافة فيها"[٢] .

وكذلك الأمر فيما يخص العهد الجديد، مما حدا "برودولف بولتمان" أحد رواد مدرسة الأشكال الأدبية وتاريخ الأديان ، إلى السعي نحو مشروع تطهير العهد الجديد من الأساطير حتى تكون له قيمة في الوقت الراهن ، بقوله: "تقف المسيحية اليوم أمام خيار عسير: فبمطالبتها الإيمان بعقائدها فإنها تشق على البشرية بإلزامها التسليم بقصص وخرافات أسطورية عفا عليها الزمن .

---

(١) جيمس فريزر ، الفلكلور في العهد القديم ، بترجمة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٢) زينون كاسيدوفسكي ، الحقيقة والأسطورة في التوراة ، ص ٥٢ ، الأبجدية للنشر . دمشق ١٩٩٠م .

فإن كان هذا المطلب غير ممكن التحقيق ويترتب عليه التساؤل عما إذا كان العهد الجديد يتضمن ذاتية مستقلة عن عالم الأساطير!؟.

فإن الواجب اللازم للباحث في الأديان تطهير الدعوة المسيحية من الأساطير تطهيراً كاملا ، وليس جزئياً ، فإما أن يقبل المرء الأساطير أو يرفضها كلية"[١] .

أما القرآن الكريم فلا يعرف الخيال القصصي طريقاً إلى مادة مروياته، حيث يلجأ القرآن في قصصه إلى الاحتكام لمعياره النقدي في الأخبار: ﴿ ... إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾ (الحجرات: ٦) .

فهو يطالب قارئ قصصه بتلمس دلائل واقعيتها وصدقها التاريخي في آثارها الماثلة للعيان: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٧) .

وقد وقف الأثريون على آثار القصص القرآني الشاهدة على الصدق التاريخي ، مثل آثار سيل العرم الذي هدّم سد مأرب باليمن ، فلازالت آثار الجنتين الواقعتين عن يمين السد وشماله ماثلة حتى اليوم تؤكد صحة قصة سبأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ... ﴾ (سبأ: ١٥ – ٢١).

---

(١) Rudolf Bultmann , Neues Testament und Mythologie , S : 21 , in : Mythos, Hrsg von : Hans - Werner Hamburg Kergma und 1960 .

وكذلك اكتشف علماء الآثار النقوش الثمودية في أرض تبوك ومدائن صالح وتيماء ولازالت مزاراً سياحياً حتى اليوم.

ولذلك يصف القرآن قصصه بأنه ﴿ ... أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ... ﴾ (يوسف: ٣)، لما توافر له من علم ومعاينة ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ (الأعراف: ٧)، وما اتسم به من حقيقة وصدق ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ... ﴾ (آل عمران: ٦٢).

٣- التشخيص البياني، وهو التعبير بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعاني الذهنية والحالات الشعورية والمشاهدات والأحداث الحقيقية، وهذا النهج التشخيصي هو الأداة المفضلة في القصص القرآني. يقول سيد قطب: "إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التى يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجري لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى"(١).

٤- التصريح والتلميح، في الوقت الذي يهتم القرآن بإبراز أدق التفاصيل النفسية والشعورية لأشخاص قصصه، فإنه يكتفي بذلك التشخيص معرضاً عن التصريح بالأسماء كما في قصة "العبد الصالح" و"الفتى" مع موسى، وكما في قصة ثمود: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ (الشمس: ١٢)، وكما في مؤمن آل فرعون.

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ١٥٦، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.

وقد يكون هذا التلميح إلى جانب ملاءمته للمنهج القصصي الذي يهتم بإبراز الحدث وقيمته ومغزاه لكونه الهدف من القصّ ، فإنه يناسب طبيعة التشريع الإسلامي فيما يخصُّ أسماء النساء مثلا : امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون ، وكذلك زوجة إبراهيم هاجر وسارة ، وأسماء زوجات النبي ﷺ ، والمجادلة في زوجها[1] .

٥- التجريد الزماني والمكاني ، حيث لا يحدد القرآن زمن الحدث أو مدته أو مكانه إلا ما كان محورياً في الحدث أو مسرحاً له كمصر في قصة يوسف ، أو المسجد الحرام والمسجد الأقصى في الإسراء والمعراج ، أو مدة رسالة نوح ، أو مدة لبث أهل الكهف في نومهم ، أو المدة التي أماتها الله للمارّ على القرية الخاوية[2] .

وترجع أسباب التجريد في الزمان والمكان في قصص القرآن إلى أمرين :

أولها : عناية القصة بالحدث وتقرير الحقائق الدائمة المستقلة عن الأشخاص ، والتي يمكن الإفادة من حكمتها ومغزاها في كل زمان ومكان بما يتلاءم مع عالمية رسالة القرآن واستمرارها، فما الأشخاص في القصص القرآني والحال كذلك إلا أمثلة لتلك الحقائق المقصودة لذاتها[3] .

---

(١)حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، ص ١١٢، القاهرة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

(٢) التهامي نقرة، سيكلوجية القصة في القرآن ، ص ٩٧ . مرجع سابق .

حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، ص ١١٣ . مرجع سابق .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن (٢ /٢١٧) ، دار الشروق . القاهرة ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م .

الثاني: تحقيق الإيجاز غير المُخِلّ[1].

٦- التنويع بين الإجمال والتفصيل، ففي مواضع التحذير من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل، والتخويف من مصائر المكذبين، يكون الإيجاز والفواصل القصيرة دون ذكر للأسماء أو للمحاورات[2]، فيورد القرآن -مثلا- في تسع آيات من سورة الفجر ثلاث قصص لمكذبي الرسل تشمل أعمالهم وعقابهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ٦-١٤). وهذا ما لا نظير له في التوراة أو الإنجيل.

٧- عاقبة القصص، يأتي ختام القصة في القرآن بعكس ختام قصص التوراة والإنجيل حيث تختم القصة مع نهاية السفر أو الإصحاح، ففي قصة يوسف مثلا يفترض أن تكون الخاتمة في لقاء يوسف بأبيه يعقوب الذي صورته التوراة على النحو التالي: "فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان، ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً. فقال إسرائيل ليوسف أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حيّ بعد"[3].

---

(١) عبد الجواد المحص، أدب القصة في القرآن الكريم، ص ٢٥٥، الدار المصرية بالإسكندرية ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٢) التهامي نقرة، سيكلوجية القصة في القرآن، ص ٩١.

(٣) سفر التكوين (٤٦ / ٢٩، ٣٠).

وعلى الرغم من أن عبارة يعقوب لم تمس سبب العقدة الأصلية في القصة وهي رؤيا يوسف وتآمر إخوته عليه ، فإن القاصّ في التوراة يكمل الأحداث بعد هذا اللقاء ليصف لقاء يعقوب بالفرعون ، والمكان الذي أقطعه لبني إسرائيل ، ومرض يعقوب وموته.

أما ختام القصص في القرآن فيكون غالباً في شكل عبرة ، أو عظة ، أو حكمة، أو تقرير موجز [1]، كما في قصة السامري مع العجل: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه : ٩٨) ، وفي قصة أهل الكهف : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٢٦)، وفي قصة يوسف : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (يوسف : ١٠٠) وفي قصة مريم وابنها المسيح : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم : ٣٥).

الدليل الثاني : تباين أهداف القصص في القرآن والتوراة والإنجيل :

تختلف أهداف القصة في التوراة والإنجيل عنها في القرآن ، وذلك على النحو التالي :

(١) حسين محمد علي ، القرآن ونظرية الفن ، ص ١١٣ ، مرجع سابق .

أ- أهداف القصة في التوراة والإنجيل:

يمثل العهد القديم والجديد سجلا تاريخياً لحياة الشعب الإسرائيلي والنصراني، فهو كتاب تاريخ وتاريخ للاعتقاد والرؤساء والأنساب والتقاليد والنظم الاجتماعية والعلاقات الشخصية ؛ لذلك جاءت عناوين الأسفار ملخّصة لمضمون تاريخها ، مثل سفر التكوين الذي يؤرخ لبدء الخليقة، وسفر الخروج الذي يؤرخ لخروج اليهود من مصر ، وسفر العدد الذي يحصي أعدادهم ، وسفر اللاويين الذي يؤرخ لأحكام الكهنة من بني لاوي ، وسفر التثنية الذي يعيد الأحكام والفروض والوصايا.

ولما كان الهدف من الكتابين التاريخ جاءت القصص فيهما في إطار الهدف العام، فجاءت سردية تاريخية متنوعة ما بين التاريخ للأنساب كما في الإحصاءات التي يقوم بها العهد القديم لأعداد بني إسرائيل الداخلين إلى مصر والخارجين منها والداخلين إلى فلسطين والمهجّرين منها .... إلخ.

وكذلك التاريخ لنسب المسيح كما في شجرتي النسب الشهيرتين لدى متى ولوقا في العهد الجديد.

وما بين التاريخ للسير الذاتية والتيارات الأدبية ، كما في خطابات

بولس الشخصية لأصدقائه . تيموتاوس[1]، فيلمون[2]، وكما في التاريخ لقصائد داود في المناسبات المختلفة[3].

وما بين القصص التاريخي للأحداث ، مثل إنجيل لوقا الذي يصرح مؤلفه أن قصصه تاريخ لأحداث جرت بذكرها الألسنة . يقول لوقا: "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاما للكلمة.

رأيت أنا أيضا إذ قد تتبّعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس ؛ لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمْتَ به ، كان في أيام هيرودس ملك اليهودية..."[4] .

وفي سفر أعمال الرسل يخبر الكاتب أن قصصه تكملة لمشروع القصص التاريخي الذي بدأه في كتابه إلى ثاوفيلس وتوقف فيه عند رفع المسيح[5].

وربما يكون هذا الهدف التاريخي أحد أهم أسباب مجيء القصص التوراتي والإنجيلي سردياً بارداً غير مؤثر وجدانياً في المتلقي أو مشوق له.

(١) العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس.
العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى تيموتاوس.

(٢) العهد الجديد، رسالة بولس إلى فيلمون.

(٣) العهد القديم، سفر المزامير، مزمور رقم: ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ٨٩ .
وانظر : سفر الأمثال ، الإصحاح الأول.

(٤) إنجيل لوقا (١ / ١-٥).

(٥) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل (١ / ١-٩).

ب ـ أهداف القصص القرآني :

القصص القرآني ليس مسوقاً لذاته ، بل لأجل غايات وأهداف كثيرة يمكن إدراكها بالتفكير والتأمل في القصص ؛ لقوله تعالى : ﴿ ... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٦) . ومن هذه الأهداف :

١ـ الاستدلال على التوحيد، وهو من أهم أهداف القصص القرآنى، كما في قصص إبراهيم مع قومه ، ونوح مع قومه ، وموسى مع فرعون ... إلخ .

٢ـ تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه رغم ما يلقونه من مشقة ويتكبدونه من تضحيات، قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ... ﴾ (هود : ١٢٠) .

٣ـ الحكم والفصل في مواضع الاختلاف والتضارب في قصص التوراة والإنجيل، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل : ٧٦)، ولعل هذا الهدف الذي حدده القرآن لقصصه أبلغ رد وأوقع دليل على تهافت دعوى الجدليات التنصيرية بأن القرآن تكرار للقصص في التوراة والإنجيل ؛ لأنه يتضمن التفسير المقنع لمواضع التشابه بين القصص القرآني وقصص الكتب السابقة ، فما جاءت به الكتب السابقة في مقام ادعاء المدعي ، أما قصص القرآن فهو حقيقة الحدث الذي جرى يحكيه القاضي الفاصل في دعوى المدّعي ، مبيِّنا به وجه الخطأ والصواب في مزاعم الادعاء ومقرراً الحقيقة التاريخية في الحدث لكل العالمين .

٤- العظة والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ... ﴾ (يوسف: ١١١)، ويمكن القول إن معظم قصص القرآن يُقصد به العظة والاعتبار من باب: إما قياس الطرد وإما قياس العكس ، فما يحيق بالمشركين وبمخالفي الرسل هو جزاء كل من جاء بمثل فعلهم، أما من جاء بعكس فعلهم فله عكس جزائهم.

ولذلك حينما يورد القرآن قصص الفساد الأخلاقي لدى الأمم السابقة ، يقرن ذلك بما تلاه من جزاء ومصير ناله المفسدون ، ويصدّر ذلك بطلب النظر والتأمل في التلازم بين الذنب والعقاب للاعتبار والتخويف. يقول تعالى عقب قصة قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٤).

ويعقّب القرآن على قصة ثمود بالترهيب من جزاء من يفعل السيئات مثلهم، وبالترغيب في ثواب من آمن واتقى من قوم صالح. قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (النمل: ٥١-٥٣).

٥- الحجة والإقناع ، وذلك بإيراد القصة المناسبة للموقف بما تتضمنه من حوار تبرز فيه دعاوى المخالفين القدامى ضد أنبيائهم ، ثم تأتي ردود الأنبياء الإقناعية وكأنها ردود من النبي محمد ﷺ على قومه أو ردود من كل داعية إلى الإسلام على مخالفيه في كل زمان ومكان ، من ذلك مثلا الحوار الذي جرى بين نوح وقومه.

قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٣١).

٦- إظهار قدرة الله المطلقة، وذلك في باب الخلق من عدم كقصة خلق آدم، أو الخلق من أم بلا أب كقصة مريم وابنها المسيح عيسى، أو إثبات القدرة على إحياء الموتى كقصة إبراهيم مع الطير، أو البعث والنشور كقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه.

الدليل الثالث: القصص الذي انفرد به القرآن:

يعد هذا الدليل من أبرز أدلة "نقد النص" وأهمها في بيان تهافت دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل، بسبب كون المصدر المزعوم الإفادة منه يفتقد مادة المرويات القصصية ويجهل كل شيء عنها، وذلك في حالة القصص الكاملة التي انفرد بها القرآن، ويزيد الأمر قوة في الإثبات والإفحام عندما تتعلق المرويات ببعض التفاصيل الدقيقة التي أتى بها القرآن في القصص المتناظرة مما لم تذكره كتب العهدين.

ومن القصص الذي انفرد به القرآن ما يلي:

أ- القصص الكاملة:

مثل قصص: صالح، هود، شعيب، الخضر، ذى القرنين.

ب- تفاصيل دقيقة في القصص المتناظر انفرد بها القرآن أو خالف فيها كتب التوراة والإنجيل مثل[1]:

---

(١) عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ص ٤٦-٤٨، الدار المصرية. الاسكندرية ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

١- ما جاء في القرآن الكريم من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن هذا السجود .

٢- ما ورد في القرآن الكريم من قصص الخليل عليه السلام مع قومه وتحطيمه لأصنامهم ونظرته في النجوم، وحجاجه مع قومه، ومحاولتهم إحراقه في النار، وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام، واشتراكه هو وابنه إسماعيل في رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة .

٣- ما قصه علينا القرآن الكريم من محاورة بين نوح وابنه الكافر ، وعدم ركوب ابنه هذا في السفينة وغرقه، ومحاورة نوح مع الله في ذلك.

٤- ما قصه علينا القرآن الكريم من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف، وحديث النسوة ودعوة امرأة العزيز إياهن وتقطيعهن أيديهن .

٥- ما قصه القرآن الكريم عن خبرة سحرة فرعون والتقام العصا التي انقلبت حية لحبالهم وعصيهم وسجودهم وإيمانهم برب هارون وموسى، ومحاورتهم مع فرعون.

٦- الشخص الثاني الذي أراد سيدنا موسى عليه السلام أن يبطش به من عدوه، في حين أن العهد القديم يدعي أن هذا الشخص عبراني.

٧- السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل في حين أن التوراة تذكر أنه هارون عليه السلام .

٨- ما قصه القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، ودافع عن موسى حين هموا بقتله ، وذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى فنصح موسى بالخروج من أرض مصر.

٩- القرآن الكريم يذكر أن بنات الشيخ المدْيَني اثنتان ، في حين أن التوراة تذكر أنهن سبع .

١٠- ما ورد في القرآن الكريم من محاورة بين فرعون وهامان لأجل بناء صَرْح لِيَطَّلِعَ إلى إله موسى .

١١- ما جاء في القرآن الكريم من خبر أمر موسى قومه بذبح بقرة ومحاورته معهم .

١٢- أمر الله لقوم موسى بدخول الباب سجداً ومخالفتهم لهذا الأمر .

١٣- قصة أصحاب السبت ومسخهم قردة بعد أن اعتدوا فيه .

١٤- ما قصه القرآن الكريم من تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام .

١٥- تسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام .

١٦- قصة الهدهد ، وكتاب سليمان لملكة سبأ وإِسلامها وإِحضار عرشها بلمح البصر من قِبَل الذي عنده علم الكتاب .

١٧- كلام عيسى في المهد .

١٨- صنع عيسى من الطين كهيئة الطير وصيرورته طيراً بإِذن الله .

١٩- قصة المائدة .

الدليل الرابع: نتائج المقارنة بين القصص المتناظر في القرآن والتوراة والإنجيل:

لا شك أن المقابلة بين نصوص القصص القرآني ونصوص القصص في التوراة والإنجيل تعدُّ معياراً موضوعياً في بيان تهافت مزاعم الجدليات التنصيرية بتكرار القصص القرآني لقصص العهد القديم والجديد ، وذلك لما يكشف عنه هذا المنهج المقارن للنصوص من اختلافات وفوارق تفصيلية وجوهرية بين متون القصص في الكتب الثلاثة، مما يحسم بشكل جليّ وقاطع أمر الاقتباس والمتابعة ، وذلك في ضوء الاعتبارات التالية:

١- تكرار المقتبس لأخطاء مصادره .

٢- وقوع المقتبس في الخطأ عند محاولته مخالفة المصدر الأصلي ، نظراً لبعد المدة الزمنية التي تفصله عن الأحداث مع قرب المصدر زمنياً من تلك الأحداث ، بل وافتراض معايشته لبعضها .

فإذا ما أضيف إلى تلك الاعتبارات بُعْد موضوعي آخر يتمثل في الاسترشاد بمقررات العلوم ونتائج مكتشفات علماء الحفريات والآثار فيما يخص مرويات القصص المتعلقة بالحقائق الكونية أو التاريخية . فإنّ جوانب الموضوعية ولوازم المنهجية العلمية ودواعي الإفادة تكون قد توافرت في ذلك النهج .

فإن قادت نتائجه إلى أن القصص القرآني قد خالف القصص التوراتي والإنجيلي في تفصيلات دقيقة ، وأن مقررات العلوم : الطبيعية والفيزيائية والإنسانية والأثرية ، قد وافقت التفصيلات القرآنية بينما خطّأت الروايات التوراتية والإنجيلية ، فسوف يكون ذلك أنصع برهان علمي على تهافت مزاعم الجدل التنصيري حول القصص القرآني خاصة ، وحول أصالة القرآن عامة.

وسوف تكون المقابلة بين القصص القرآني والقصص في التوراة والإنجيل ، حول القصص التالية :

أ- رواية خلق العالم :

جاءت قصة خلق العالم في التوراة في روايتين من سفر التكوين ، أولاهما تسمى الرواية الكهنوتية التي كتبت بواسطة الكهنة في عصر المنفى، والثانية رواية (يهوية) ، أي من بين النصوص التوراتية التي تستخدم لفظ (يهوه) للتعبير عن اسم الإله ، وهي أقدم تاريخياً من الرواية الأولى وإن جاءت في النصوص تالية لها ، على النحو التالي[1] :

الرواية الأولى

"في البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين

---

(١) سفر التكوين (١ / ١ - ٢ / ٩).

النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلا. وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً.

وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلا بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً.

وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً. ومجتمع المياه دعاه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله: لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً.

وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل. وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير على الأرض. وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً.

وقال الله: لتفض المياه زحّافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن. وباركها الله قائلا أثمري وأكثري واملأي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض . وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً .

وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكر وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله: إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذراً . لكم يكون طعاماً. ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً. وكان كذلك .

ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً . وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً .

فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه . لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً .

الرواية الثانية

هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت . يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد ؛ لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض . ولا كان إنسان ليعمل الأرض . ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض . وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض . ونفخ في أنفه نسمة حيوة . فصار آدم نفساً حية . وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي جبله . وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل .

أما رواية خلق العالم في القرآن فلم تأت مجتمعة في مكان واحد شأن غيرها من القصص القرآني ، وإنما جاءت متضمنة في نقاط أساسية هي :

١- خلق السموات والأرض في مراحل ستة ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (سورة قٓ : ٣٨) .

٢- تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت : ٩-١٢) .

٣- خلق الكون من كومة أوليّة فريدة متماسكة . قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٠) .

٤- تعدد السموات والكواكب التي تشبه الأرض :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ... ﴾ (الطلاق : ١٢) .

٥- خلق عالم وسيط بين السموات والأرض . قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴾ (الفرقان : ٥٩) ، ويقول تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ (طه : ٦) .

وتتفق الرواية القرآنية مع الرواية التوراتية في مسألتين فقط :

١- عدد أدوار الخلق الستة .

٢- جعل النجوم مصدر النور .

أما وجوه الاختلاف فكثيرة يمثل كل منهما خطأ علمياً وقعت فيه الرواية التوراتية، وتأكيداً علمياً على صحة الرواية القرآنية، وهذه الوجوه هي :

١- انفراد القرآن ببيان كيفية نشأة الكون من الكتلة الأولية التي تفتقت بفعل انفجار كبير يطلق عليه العلم الحديث نظرية الانفجار العظيم "The Big Bang"[١].

٢- المراحل الست في القرآن مراحل زمنية مديدة وليست ستة أيام بشرية بحساب تعاقب شروقين أو غروبين ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة : ٤ ، ٥).

وهذا ما يؤكده علماء الفيزياء الكونية من أن انفصال الأرض عن الشمس كان منذ خمسة آلاف مليون سنة تقريباً ، وأن الأرض ظلت مئات الألوف من السنين كي يبرد سطحها[٢].

ويقابل هذا المفهوم القرآني لمراحل الخلق الستة حصر توراتي خاطئ للمراحل الست في ستة أيام بشرية تبدأ بالأحد وتنتهي بالجمعة ويعقبها يوم السبت المقدس يوم الراحة الذي استراح الله -تعالى- فيه من عملية الخلق ، وباركه وقدسه .

---

(١) كارل ساغان ، الكون، ص ١٢٤، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨) ، وزارة الإعلام بالكويت .

(٢) A . K . Wells , Outlines of geoloical History , pp . 3 -37 , London 1938 .

ويفسر جيمس فريزر عالم الديانات المقارنة الشهير أسباب وقوع الرواية التوراتية في هذا الخطأ العلمي الشنيع ، بأن رواية خلق العالم في التوراة لم تكن سوى تمهيد من الكهنة لخلع القداسة على يوم السبت يوم العبادة والراحة لدى اليهود[1] . وكان المصدر الذي استقى منه الكهنة تقديس اليوم السابع من أيام الخلق هو ملحمة خلق العالم البابلية (انوما ايليش)[2] .

وقد ترتب على هذا الخطأ في رواية الخلق التوراتية خطأ آخر وقعت فيه روايات العهد القديم وكذلك العهد الجديد كما يبدو في تصور إنجيل لوقا لشجرة أنساب المسيح، ألا وهو حساب عمر الإنسان على الأرض بأنه بدأ في التاسعة صباح يوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد[3] . أي قبل ستة الآف سنة من عامنا هذا .

٣- إشارة القرآن إلى حالة غازية في بداية عملية الخلق ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت : ١١) .

وهي تتطابق مع معطيات العلم الحديث[4] .

---

(١) جيمس فريزر ، الفلكلور في العهد القديم (١ /١٠٨) مرجع سابق .

(٢) زينون كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة في التوراة ، ص ٢٣، الأبجدية للنشر . دمشق ١٩٩٠م .

(٣) السابق ، ص ٢٤ .

(٤) موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٧١، ١٧٢ .

٤– وجود العوالم الوسطية التي أخبر القرآن بخلقها بين السموات والأرض يسميها العلم الحديث بالبواقي أو المادة الكونية المنتشرة بين النجوم ، ويصفها بأنها ذات كتل هائلة[١] .

٥– اشتمال رواية العهد القديم ـ منفردة ـ على الأخطاء التالية[٢] :

– الإشارة إلى وجود المياه في المرحلة الأولى من مراحل الخلق .

– ذكر النور في اليوم الأول قبل أن تخلق النجوم .

– ذكر الليل والنهار في اليوم الأول قبل وجود الأرض ودورانها حول الشمس .

– وجود العالم النباتي في اليوم الثالث قبل خلق الشمس في اليوم الرابع .

– خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض ، وذلك يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل النظام الشمسي .

– الإشارة إلى عالم الحيوان والطيور في اليوم الخامس مع أن وجود الطيور تال لوجود عالم الحيوان .

ب – الطوفان :

تتفق رواية القرآن لقصة الطوفان مع رواية التوراة في العناصر التالية :

١– أسباب السيل (الأمطار الغزيرة وتفجر عيون الماء من الأرض) .

٢– صنع نوح لسفينة النجاة .

٣– حمل بعض البشر وبعض الحيوانات والطيور في سفينة النجاة .

---

(١) السابق ، ص ١٧٠، ١٧١ .

(٢) السابق ، ص ٤١ – ٤٥ .

وتختلف الروايتان في أمرين جوهريين:

الأول: حجم الطوفان:

يأتى الطوفان في القرآن عقاباً خاصاً لقوم نوح شأن غيرهم من مكذّبى الرسل: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفرقان: ٣٧).

أما في التوراة فإن الطوفان عقاب عالمي لكل البشرية. يقول سفر التكوين: "فقال الله لنوحٍ نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكاً... فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت"[١].

وهذا التدمير الشامل للأرض كما تحكيه التوراة غير مقبول من الناحية التاريخية، فبحسب تقويم العهد القديم يرجع تاريخ الطوفان إلى القرن الحادي أو الثاني والعشرين قبل الميلاد وهو يقابل تاريخ وجود الأسرة الحادية والعشرين من أسر الفترة الوسطى في مصر[٢].

ومن الناحية العلمية فإن القول بوقوع تدمير شامل للكرة الأرضية يتعارض مع أبسط مبادئ الجيولوجيا[٣].

---

(١) سفر التكوين (٦/١٣-١٧).

(٢) موريس بوكاي، ص ٤٣، ٥٤، مرجع سابق.

(٣) جيمس فريزر، الفلكور في العهد القديم (١/٩٢) مرجع سابق.

لذلك يفسره جيمس فريزر بأنه مناسبة خلقها الكهنة لإقامة عهد بين الرب وفئة الناجين المنتقاة حسب الشروط الكهنوتية[١].

الثاني: موقع الطوفان:

تحدد التوراة مكان استقرار سفينة نوح: "في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط"[٢].

وجبال أراراط تقع في تركيا كما توضح ذلك خريطة الشرق الأوسط في العهد القديم الملحقة بالبحث[٣].

أما القرآن فيحدد استقرار السفينة على "الجودي" وهو اسم جبل يقع في الموصل بالقرب من التقاء نهري دجلة والفرات غير بعيد من مدينة "أور" عاصمة السومريين القديمة.

وذلك ما أكدته الاكتشافات الكبيرة لعالم الآثار الإنجليزى ليونار وولى الذي اكتشف مدينة أور وتحت مقابر ملوكها اكتشف طبقة من الطمي النهري سمكها ثلاثة أمتار، وتحتها آثار عمرانية لجماعة بشرية عاشت في زمن سحيق وأغرقها سيل مائي هائل، وبعد أن انحسرت مياهه جاءت بلاد الرافدين موجات بشرية أخرى سكنت المكان وهم السومريون[٤].

---

(١) السابق (١/١٠٨).

(٢) سفر التكوين (٨/٤).

(٣) ملحق رقم (١).

(٤) زينون كاسيدوفسكي، الواقع والأسطورة في التوراة، ص ٢٦.

جـ - قصة يوسف :

قصة يوسف هي القصة القرآنية الوحيدة التي جاءت في مكان واحد من سورة تحمل اسم النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام ؛ لذلك يسهل وضعها بالتوازي في مقابلة القصة التوراتية للوقوف على وجوه تباين التفاصيل بين القصتين . وذلك من خلال الجدول التالي[1] :

رقم الآية القرآنية	الرواية القرآنية	الرواية التوراتية	ملاحظات
١ - ٣	مدخل يضع القصة في الإطار الديني	مدخل يضع القصة في الإطار العائلي	اختلاف
٤ - ٦	رؤيا واحدة ليوسف	رؤييان ليوسف	اختلاف
٧ - ١٥	ذهاب يوسف بموافقة يعقوب عقب تآمر الإخوة عليه	ذهاب يوسف بأمر يعقوب	اختلاف
١٦ - ١٨	ارتياب يعقوب في أولاده عقب المؤامرة وأمله في عودة يوسف	سرعة تصديق يعقوب المؤامرة ويأسه من عودة يوسف	اختلاف
١٩ - ٢٠	بيع يوسف ووصوله إلى مصر	نفس الرواية	القرآن يؤكد أكثر تدخل إرادة الله
٢٤	همُّ يوسف وظهور برهان الله له	لم يرد	
٢٥	القميص تقده المرأة	القميص تأخذه المرأة	
٢٧ - ٢٩	إدانة خلقية من الزوج لزوجته	غضب الزوج على يوسف	اختلاف
٣٠ - ٣١	فضيحة في المدينة واجتماع النسوة	لم يرد	
٣٤	دعاء يوسف أمام إلحاح المرأة	لم يرد	النبي يتحدث أكثر في القرآن
٣٦ - ٤٠	وعظ يوسف لأصحابه في السجن	لم يرد	
٤١	تعبير الرؤيين بطلب من يوسف	تعبير الرؤيين يتقدم به يوسف	اختلاف
٤٢ - ٤٨	حل نفسي لعقدة السجن باعتراف المرأة	حل سياسي مترتب على رؤيا فرعون	

(١) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

رقم الآية القرآنية	الرواية القرآنية	الرواية التوراتية	ملاحظات
٤٩	تنبؤ بعام الرخاء والنجاة	لم يرد	
٥٣	وعظ في حضرة الملك	لم يرد	شخصية النبي أكثر ظهوراً في القرآن
٥٤	رد اعتبار يوسف	مهمة معهود بها إلى يوسف	عدالة في القرآن وسياسة في التوراة
٥٥	يوسف يطلب مسؤولية الخازن	مسؤولية الخازن تعرض عليه	اختلاف
٥٧	اهتمام بالآخرة	لم يرد	الدين يتكلم أكثر في القرآن
٥٨ - ٦٢	مشهد يوسف مع إخوته	صورة بتصرف	يوسف أكثر نبوة في القرآن
٦٣ - ٦٧	بواعث العودة إلى مصر : مسعى أبناء يعقوب لدى يوسف	بواعث العودة إلى مصر : أمر يعقوب الذي يبدو كأنما ترك شمعون لمصيره	الاتهام بالجاسوسية اعتقال شمعون غير وارد في القرآن
٦٨ - ٦٩	وصول الإخوة إلى مصر وكيد يوسف	نفس الصور	
٧٠ - ٧٩	رحيل إخوة يوسف واعتقال بنيامين	مع بعض التصرف	
٨٠	تشاور الإخوة	لم يرد	
٨١ - ٨٧	عودة الأبناء إلى يعقوب الذي يستعين بالأمل والمصابرة	لم يرد	
٨٨	عودة إلى مصر لدى يوسف	لم يرد	
٨٩ - ٩٢	مشهد الحل بعفو يوسف عن إخوته	حل الموقف بانفعال يوسف	اختلاف
٩٣	إرسال قميص يوسف إلى أبيه	لم يرد	
٩٤ - ٩٥	وجدان يعقوب	لم يرد	
٩٦ - ٩٩	شفاء يعقوب ودعاؤه وعفوه عن بنيه	لم يرد	
١٠١	ختام يوسف للقصة بحمد الله والثناء عليه	لم يرد	المعالم الروحية في القرآن

ويكشف جدول التفاصيل السابق عما يلي من وجوه تباين واختلاف بين رواية القرآن ورواية العهد القديم[1]:

١- القرآن يضع القصة في إطار ديني تنفذ منه أشعة روحية إلى النفس ببيان العبرة التربوية والأخلاقية التي من أجلها أنزل الله القصة.

أما العهد العتيق فقد وضع القصة في إطار عائلي، يحمل طابع السرد التاريخي المجرد، دون أن يشير إلى ما وراء الأحداث من عظات.

٢- يذكر القرآن الكريم أن إخوة يوسف تضايقوا من حب والدهم له ولأخيه، ولم تشر التوراة إلى الأخ بشيء.

٣- رؤيا يوسف التي قصَّها على أبيه كما في النص القرآني تتلخص في أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، والذي في التوراة أن يوسف رأى قبلها رؤيا، فقد رأى أنه وإياهم يحزمون حزماً في الحقل في الصحراء، فإذا حزمته قامت وأحاطت بحزم إخوته فسجدت لحزمته حزمهم فقال له إخوته: ألعلك تملك علينا ملكاً؟ أم تتسلط علينا تسلطاً؟ وازدادوا بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه.

وأما الرؤيا الثانية فهي كما في القرآن من حيث المضمون، ولكن يوسف قصها على أبيه وإخوته، ولم يعلق الإخوة، ولكن الأب انتهره وقال له: ما هذا الحلم الذي حلمت؟ هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض؟.

---

(١) أحمد نوفل، سورة يوسف: دراسة تحليلية، ص ٦٠، ٦٦، دار الفرقان. عمّان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٤- لم تذكر التوراة أن الإخوة تفاوضوا على قتل يوسف، أو أنهم راودوا أباهم لإخراجه معهم، ولكن الأب يرسل يوسف لينظر سلامتهم وسلامة الغنم ثم يرد لأبيه الخبر فذهب إليهم، وعندما رأوه تفاوضوا في شأنه.

٥- تآمر إخوة يوسف عليه إما قتلا أو طرحاً أو إلقاء في الجب هكذا في القرآن، والذي في التوراة أن أحد الإخوة راؤبين استبعد فكرة القتل وأشار بالطرح في البئر التي في البرية ، لا لتلتقطه السيارة ، ولكن ليغافلهم ويستخرجه من البئر ليعيده إلى أبيهم .

٦- في القرآن أن إخوة يوسف جاؤوا على قميص أخيهم بدم كذب وجاؤوا أباهم وقت العشاء يبكون أخاهم فأجابهم بما نعلم ، والذي في التوراة أنهم لم يجيئوا إلى أبيهم بل أرسلوا القميص الملون المغموس بالدم وأحضروه لأبيهم بواسطة الرسول الذي أرسلوه.

٧- في القرآن أن يعقوب تجلد للمصاب الجلل وما زاد على أن قال كلمات نورانية سامقة: ﴿ ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٨) ومثل هذا الموقف الرجولي الإيماني الرفيع هو اللائق بالنبي الكريم.

وأما التوراة فتقول: "فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة" .

٨- في التوراة استطراد عن زنى أحد الأسباط بكنته !! ولا علاقة قطعاً بين الخبر المحشور في السياق وبين القصة.

٩- ليس في التوراة من قول العزيز لامرأته أكرمي مثواه ، بل تقفز مباشرة إلى قول المرأة ليوسف عندما دخل بيتها الخاص ورفعت عينيها إليه وقالت : اضطجع معي . وليس في التوراة ذكر تعرض المرأة له بالمراودة غير ما ذكر ولا تغليق الأبواب ولا قدّ الثوب ولا استباق الباب، ولكن فيها أن المرأة أمسكت بثوب يوسف فتركه عندها وخرج.

١٠- ليس في التوراة قصة الشاهد على روعة مغزاها ، وليس فيها خبر النسوة على الرغم من دوره في النسيج القصصي ، ولكن الذي في التوراة بعد أن حمي غضب العزيز أنه أخذ يوسف ووضعه في بيت السجن.

١١- في التوراة أن رؤيا الملك حصلت بعد سنتين من خروج الساقي.

١٢- وبالنسبة لمجيء إخوة يوسف إلى مصر فإن التوراة تذكر أن يوسف حبسهم وسلك معهم مسلك إعنات حتى يأتوه بأخيهم وقال لهم : جواسيس أنتم . لتروا عورة الأرض جئتم. بهذا تمتحنون وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير.

١٣- ختام القصة ، حيث تقول التوراة بعد أن ذكرت موت يعقوب ودفنه: "واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً: الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا، ثم مات يوسف ، وهو ابن مائةٍ وعشر سنين وحنطوه ووضع في تابوت في مصر"، هكذا تنتهي القصة في التوراة بخاتمة ميتة فنياً .

ولكن جاءت الخاتمة الفنية في القرآن الكريم مناسبة ومعبّرة: ﴿ . . . وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠ ۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٠، ١٠١).

أما وجوه الاختلاف ذات الصلة بالناحية العلمية والتاريخية فأمران:

الأول: وسيلة سفر أبناء يعقوب:

يذكر القرآن في ثلاثة مواضع من القصة أن العير هي وسيلة الترحال التي اتخذها أبناء يعقوب ، والعير في اللغة هي ما جلب عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير(١).

أما التوراة فتنصُّ على أن وسيلة السفر وحمل الطعام كانت الحمير ، وهو غير ملائم من وجهين:

١- أن الحمار حيوان حضريّ غير مألوف في البادية وحياة الصحراء كوسيلة انتقال ولذلك لم يعرفه بنو إسرائيل إلا في الحياة الحضرية الزراعية بمصر.

٢- من غير المعقول أن يستطيع الحمار قطع المسافة من كنعان في بادية الشام إلى مصر مخترقاً فيافي وصحراوات شاسعة، أوعرها شبه جزيرة سيناء ، كل ذلك وهو محمل بالحبوب والغلال يعاني جفاف الصحراء وقيظ الحر الشديد.

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة عير (٢/ ٦٦٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط ٣ .

الثاني: حاكم مصر:

تذكر التوراة أنه فرعون، ويحكي القرآن أنه "ملك" وليس فرعون، وهذا ما أكّدته الدراسات التاريخية المعاصرة التي أجراها عالم المصريات الفرنسي "بيير مونتيه" استناداً إلى تحديد العاصمة التي كان يحكم منها يوسف وهي "أفاريس" الواقعة في دلتا النيل قرب قرية سان الحجر المعاصرة ذات الكتابات الهكسوسية الغزيرة وهو ما يقطع بأن قصة حياته تعود إلى فترة حكم الهكسوس؛ لأن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة نقلوا العاصمة إلى طيبة بعد طرد الهكسوس[1].

كذلك تذكر الوثائق المصرية التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد القبائل الكنعانية الرعوية التي جاءت واستقرت في مصر.

كما أن المؤرخ اليهودي يوسفس فيلافيوس يتحدث عن الهكسوس على أنهم أجداده[2].

وتتطابق نتائج هذه الدراسات التاريخية مع بعض إشارات النص التوراتي، حيث يذكر سفر التكوين في سياق القصة أن المصريين كانوا يعدُّون العبرانيين رجساً، فيكون من غير الطبيعي والمنطقي أن يسمح حكام مصر من الفراعنة أن يتسلط على المصريين من يعدونه رجساً.

بل الشيء المنطقي الوحيد أن يكون الهكسوس المحتلون الأجانب عن مصر قد استعانوا بآسيوي أجنبي مثلهم في حكم البلاد.

---

(١) زيتون كاسيوفسكي، الحقيقة والأسطورة في التوراة، ص ٨٠، مرجع سابق.

(٢) السابق، ص ٧٨.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب السنة النبوية.

١- جامع الترمذي: طبع مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٢- صحيح البخاري: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

ثالثاً: الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب.

١- العهد الجديد (نسخة الكاثوليك)، اعتماد بولس باسيم، دار المشرق. بيروت ١٩٨٩م.

٢- العهد القديم (نسخة الكاثوليك)، اعتماد بولس باسيم، دار المشرق. بيروت ١٩٨٩م.

رابعاً: المعاجم.

المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

خامساً: دوائر المعارف المتخصصة.

Theologische Realenzyklopädie, London - New York - Bonn.

سادساً: مصادر ومراجع أخرى.

١- إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٤هـ.

٢– إِبراهيم خليل أحمد ، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، مكتبة الوعي العربى ، القاهرة ١٩٦٤م .

٣– إِبراهيم موسى هنداوي ، الأثر العربي في الفكر اليهودي ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م .

٤– أحمد عبد الحميد غراب ، رؤية إِسلامية للاستشراق ، المنتدى الإِسلامي ، لندن ١٤١١هـ .

٥– أحمد نوفل ، سورة يوسف : دراسة تحليلية ، دار الفرقان . عمّان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٦– إِدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٣٠٠ ، بترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية . بيروت ط٢، ١٩٨٤م .

٧– ارنست رينان، ابن رشد والرشدية ، عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٥٧م.

٨– إِسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق – عن رابطة العالم الإِسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩– أعراب عبد الحميد ، دائرة المعارف الإِسلامية ، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإِسلامي الرياض (٢٢ – ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ ، ٣١ اكتوبر – ٣ نوفمبر ١٩٩٩م) .

١٠– أ . ل شاتيله ، الغارة على العالم الإِسلامي، نشر محب الدين الخطيب . بيروت ، د . ت .

١١- أنيس فريحة ، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران . ترجمة إبراهيم مطر. بيروت ١٩٥٧م .

١٢- بابا دو بولس ، تاريخ كنيسة أنطاكية ، منشورات النور ، بيروت ١٩٨٤م .

١٣- البيجوري ، تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٣م .

١٤- التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري) ، دون بيانات .

١٥- التهامى نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع . تونس ١٩٧٤م .

١٦- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.

١٧- ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مطبعة المدنى ، مصر، بدون ترقيم .

١٨- تيودور أبو قرة ، ميمر في وجود الخالق والدين القويم ، بتحقيق: اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢م .

١٩- جلال العالم ، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله ، مكتبة الصحابة جدة - مكتبة التابعين ، القاهرة . ١٩٩٤م .

٢٠- جواد علي ، يوحنا الدمشقي ، مجلة الرسالة (مصر) ، (عدد ٦١٠)، والعدد (٦١٢) ربيع الأخر ١٣٦٤هـ / مارس ١٩٤٥م .

٢١- جورج عطية ، الجدل الديني المسيحى - الإسلامي في العصر الأموى وأثره في نشوء علم الكلام ، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام - جامعة اليرموك. عمّان ١٩٨٩م .

٢٢- جوستاف لوبون ، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٦٩م .

٢٣- جولد تسهر ، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥٥م .

العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م .

٢٤- جيمس فريزر ، الفلكلور في العهد القديم ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

٢٥- حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية ، الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٨٨م .

٢٦- حسن طبل ، حول الإعجاز البلاغي للقرآن ، مكتبة الإيمان ، ط١ ، مصر ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٢٧- حسين علي محمد ، القرآن ونظرية الفن، القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٨- دانييل ساهاس ، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام ، مجلة الاجتهاد بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٢٩- رشا الصباح ، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر. وزارة الإعلام ، الكويت .

٣٠- رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية ، سلسلة عالم المعرفة العدد (١٠٢). وزارة الإعلام بالكويت .

٣١- رشيد رضا ، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

٣٢- روم لاندو ، الإسلام والعرب ، بترجمة منير البعلبكى ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م .

٣٣- زينون كاسيدوفسكي ، الحقيقة والأسطورة في التوراة ، الأبجدية للنشر. دمشق ١٩٩٠م .

٣٤- سعد العتيبي ، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين ، مجلة الدرعية (عدد ٦ ، ٧) ربيع الآخر - رجب ١٤٢٠هـ/ أغسطس، نوفمبر ١٩٩٩م المملكة العربية السعودية .

٣٥- سعد بن منصور بن كمونة ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، نشرة موسى برلمان ، مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧م .

٣٦- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣م.

٣٧- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.

في ظلال القرآن، دار الشروق . القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٨- عبد الجواد المحص ، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني ، الدار المصرية. الإسكندرية ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

أدب القصة في القرآن الكريم، الدار المصرية بالإسكندرية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

٣٩- عبد الحميد مدكور ، الترجمة والحوار مع الآخر ، كتاب المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة" المنعقد بدار العلوم. القاهرة ١٩٩٦م .

٤٠- عبد الراضي محمد عبد المحسن، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة السادسة. عدد ٦ ، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٤١- عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، دار الجليل، ط١، بترجمة كمال جاد الله . القاهرة ١٩٩٧م .

موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٢ ، بيروت ١٩٨٩م .

٤٢- عبدالرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دار العلم، دمشق، ط٥، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٤٣- عبد العزيز العسكر ، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، العبيكان ، ط١، الرياض ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

٤٤- عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامي الحديث . د . محمد البهي. مكتبة وهبة ، ط٨ ، ١٩٧٥م .

٤٥- ابن العسال ، الصحائح في جواب النصائح، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية .

٤٦- علي النملة ، الاستشراق في الأدبيات العربية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

التنصير ، ١٩٩٣م بدون بيانات .

٤٧- علي جريشة ـ محمد الزيبق ، أساليب الغزو الفكري ، ط٢ ، دار الاعتصام . مصر .

٤٨- عمر الأشقر ، عالم الملائكة ، دار النفائس . الأردن ١٩٩٥م .

٤٩- عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، دار طيبة . الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٥٠- فروخ ـ الخالدى ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، المكتبة العصرية . بيروت ١٩٨٦م .

٥١- ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، بتحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٢م .

٥٢- فريد مصطفى سليمان ، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٣- قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعى- الرياض ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م .

٥٤- كارل ساغان ، الكون ، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨) ، وزارة الإعلام بالكويت .

٥٥- ابن كثير، البداية والنهاية، دار هجر. القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٥٦- لويس شيخو ، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٤٢م .
مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى ، طبع الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٦م .
٥٧- لويس غرديه - جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ١٩٦٧م .
٥٨- مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية، بترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .
٥٩- محمد أبو فراخ ، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان ، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد الرابع (عام ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ).
٦٠- محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق ، العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .
٦١- محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، الإدارة العامة للثقافة ـ مطبعة الأزهر . القاهرة ، د . ت .
٦٢- محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ط٥ ، دار المعارف، القاهرة .
٦٣- محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، دار عين للبحوث والدراسات . القاهرة ١٩٩٧م .

٦٤- محمد السماك ، مقدمة إلى الحوار الإسلامي ـ المسيحي، دار النفائس، بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٦٥- محمد الشرقاوي، الاستشراق، مطبعة المدينة. القاهرة. د. ت.

٦٦- محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، دار الآفاق الجديدة، ط ٢ ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٦٧- محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى القرآن الكريم ، دار القلم ، الكويت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

٦٨- محمد عبد الواحد عسيري، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المنعقدة في الرياض (٢٢ - ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ / ٣١ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

٦٩- محمد عثمان بن صالح ، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير ، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

٧٠- محمد عمارة ، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٧١- محمد فتحي عبد الهادي ، المصادر المرجعية عن الإسلام والمسلمين ، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.

٧٢- محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي. القاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٧٣- محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون. عمان ١٩٦٧م .

٧٤- موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دار المعارف. لبنان ١٩٧٧م .

٧٥- نجيب العقيقي ، المستشرقون ، دار المعارف ، ط٤ ، مصر .

٧٦- ابن هشام الحميري ، السيرة النبوية ، ط٢ ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٧٧- يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، بترجمة عمر العالم ، ط١ ، دار قتيبة ، دمشق - بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

سابعاً : مراجع باللغات الأجنبية

1- A . K . Wells , Outlines of Geoloical History , London 1938 .

2- Adel Theodore Khoury , Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam .

3- Anton Pegis , St . Anselm and the Argument of the Proslogion , Mediaeval Studies 28 (1966) .

4- B . F . Westcott , The Bible in the Church , Grand Rapids . (U.S.A 1980) .

5- Dena John Geanakohlos , Byzantine East and Latin West : Two Worlds of Christiandom in Middle Ages and Renaissance , Harpertoneh Books , New York 1966 .

6- Francis Dvornik , The Ecumenical Councils , Hawthorn Books . New York 1961 .

7- Goetz Schregle , Deutsch - Arabisches Woerterbuch, London - Beirut 1977.

8- Hans . Joachim Kraus , Geschichte der historisch - kritischen Erforschung des Alten Tesament , Neukirchen - Vluyn . 1969 .

9- Hermann Lais , Was sagt die Kirche zum Wunder in : Wunder und Magie , Gesmmelten Beitraege , Wuerzburg 1962 .

10- Julius Richter , A History of the Protestant Missions in The Near East , New York 1910 .

11- J. M . Robinson , Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi Fuer die heutige Theologie und das Fruhe Christentum , Bamberg 22.6.93 (vortrag) .

12- Katechismus der katholischen Kirche . Leipzig - schweis 1993 .

13- Klaus Hock, Der Islam im Spiegel westlicher Theologie , Deutschland 1989 .

14- Moses ben Maimone : sein Leben , seine Werke und sein Einfluss, Hrsg von W . Bacher . Leipzig 1908 .

15- Montgomery Watt, The Influence of Islam on Medieval Europe , Edinburgh up 1972 .

16- R . Smend, Die Entstehung des Alten Testament, Stuttgart - Mainz 1978.

17- Rudolf Smend , Epochen der Bibelkritik , Muenscchen 1991 .

18- Religionen der Welt , Bertlsmann Handbuch , Heraus gegeben von : Monika und Udo Tworuschka . Muenschen Guetersloh 1992 .

19- Rudolf Bultmann , Neues Testament und Mythologie , in : Kergma und Mythos , Hrsg . von : Hans - Wemer . Hamburg 1960 .

20- Saint Clair Tisdall, The Original Sources of the Quran, London , 1905 .

21- Theologische Realenzyklopädie, London - New York - Bonn .

22- Trevor - Roper , Hugh , The Rise of Christian Europe , London 1978 .

23- Werner. Kuemmel , Einleitung in das Neue Testament, Heidlberg 1983 .

24- Willim Born, Christlicher Glaube und Naturwissenschaft, Blefeld 1954 .

25- Zwemer S., The Translation of the Quran , The Muslim World, 1973 .



الفهرس